من خلق الله؟

مالك مهدي السويعدي

هذه النسخة مصححة ومنقحة بتصرّف

مصدر الكتاب: مركز الأبحاث العقائدية

www.aqaed.com

تصديرٌ

ثمّة اشكالية تبرز حين الحديث عن «الخالق» أو «الرب» حيث يتم تأطير الحديث مباشرة بصفات وماهيّة هذا الخالق أو الرب، والحال أنّ قضية الصفات[١] قضية لاحقة على أصل المطلب، الذي هو اثبات "وجود" الخالق في حدّ ذاته بمعزلٍ عن أيّة مفاهيم (أو تصوّرات) أخرى مرتبطة به، ومن المغالطة محاولة هدم وجود الخالق – عمومًا - بنفي صفاته الكمالية كما يراها دينٌ ما أو نقدها[٢]، وعلى الرغم من وضوح أن هذه القضية باتت قضية مسميّات أكثر منها قضية حقيقة ثابتة ومُشّخصة، فتغيّر الاسم لا يغيّر المعنى، وسواء تسمى بالرب أو الله أو الطبيعة أو غيرها باختلاف آلياتها وصفاتها وما يتم اسقاطه من المذاهب والإتجاهات الفكرية المتعددة بناءً على تنظيرها للمسألة عليها، فإنّ وجود قوّة قاهرة[٣] أمرٌ لا يُختلف فيه، وهذا ما يُرجع إلى الذهن القول بأنّ ليس اثبات الخالق هي القضية بقدر ما هي بناء معرفة هذا الخالق على أسس سليمة، أو تأسيس الإيمان به على قواعد معرفية صحيحة[٤].

إنّ طرق البراهين في الوصول إلى الخالق تنحصر في ثلاثة:

- طريق الوجدان، أو ما يُعرف بالشهود، وهو طريق يعتمد على التجربة التي يخوضها الشخص، والإنطلاق من العلّة للمعلولات.
- طريق الحس، أو ما يُعرف ببرهان النَّظم[٥]، وهو الاستدلال والإنطلاق من المعلولات إلى العلّة.

---

[١] والحديث هنا عن الصفات من حيث الأديان، بمعنى أننا حين نتكلم عن اثبات الخالق أو الرب فإن الحديث يتجاوز إطار اثباته وفق الرؤية الإسلامية لله، أو المسيحية للأقنوم [الثالوث]، أو اليهودية ليهوه إلى وجود الرب بالمعنى العام.

[٢] الاستدلال بنفي الخالق انطلاقًا من فهم المخلوق هو كمحاولة نفي الشمس انطلاقًا من حجب الغيم لها!

[٣] الإرادة المتمثلة بالإندفاع الأعمى اللاعاقل نحو الحياة كما عند شوبنهاور، أوالطبيعة التي خلقت الناس ووضعت لهم القابليات ورسمت لهم خطة تطور الحرية عند كانط، وغيرها.

[٤] مقدّمة كتاب التوحيد ج١، كمال الحيدري.

[٥] وهناك برهان آخر هو (دليل حساب الاحتمالات) الذي اثبته الشهيد الصدر في كتابه: الأسس المنطقية للإستقراء. وقدّ لخّص أهم أفكاره في كتيب صغير صدر باسم (المرسل – الرسول – الرسالة).

- ❖ طريق العقل، وهو طريق الفلسفة وبراهينها المتعددة: الإمكان/ الصدّيقين/ الحركة والتغيّر.

السعي إلى اثبات الخالق من الطريق الأوّل لا يمكن اثباته وتعميمه لأنه يبتني على مسلّمات شخصية، وتجربة ذاتية يحتاج الشخص أن يعيشها ليعيها، ومن الصعب أن تنقل المعرفة المكتسبة منها إلى الآخرين أو أن تصيغها بصورة قوانين ونتائج ثابتة لا يختلف عليها العُقلاء.

أمّا الطريق الثاني فقد صار ملازمًا للجدال بين المُثبت والنافي، وهو في الغالب محلُّ البحث والإثبات في قضية الإلوهية، فهو يقوم على ركيزتين: **الأولى** الحِسُّ أي النظام الموجود في الكون من حولنا وسننه وقوانينه و**الثانية** العقل الذي ينتزع هذه المفاهيم ويوظفها في البرهان ليصدر الأحكام على أساسها[١]، وهو الطريق الأقرب إلى الفهم البشري العام فلا يكتفي بمخاطبة عقولهم بل ويمتد لمخاطبة العاطفة و الوجدان كما أنّه قادر على استيعاب تطوّر العلوم الكمّي والكيفي الذي يحدث من حولنا في تدعيم براهينه ورؤيته[٢]، وهو بالمحصلة يقود إلى إعطاء معرفة كلية بالله لا معرفة خاصة، أي الإيمان بوجود القوة العظيمة.

ويبقى الطريق الثالث متعسّرٌ على الأذهان البشرية العامّة، لأنه يتطلب عقولاً متمترسة بالمعارف الفلسفية وقادرة على التجريد التام وبناء المعارف استنادًا للمقدمات العقلية البحتة ومن ثمّ فهو مستغنٍ عن الحِسّ ولا يعتمد إلا على العقل، ويتميّز هذا المسلك بأنه يعطي معرفة خاصة ودقيقة بالمعارف الإلهية المتعلقة بصفات الخالق سبحانه والمسائل المتعلّقة به، وينشئ معارفَ هي أقرب لليقينيات وبالتالي أصعب للنقض، وهو المسار الذي سلكه الشيخ الرئيس ابن سينا والملا صدر المتألهين[٣] في براهينهم واستدلالاتهم.

ومن هذه المسالك الثلاثة جرى البناء على اثبات الخالق سبحانه، إلاّ أن تساؤلاً لا زال سابري هذه البراهين يطرحونه على أنفسهم:

كيف لك أن تفسّر الماء إلا بالماء؟!

---

١ انظر اشكالات ديفيد هيوم، والإجابة عليها في: الإلهيات، ج١، جعفر السبحاني.

٢ دروس في التوحيد، ج٢، مرتضى فرج.

٣ الشيخ محمد بن إبراهيم القوّامي الشيرازي، المعروف بـ الملا صدرا، صاحب مدرسة الحكمة المتعالية.

فمن أصعب ما مرّ على العقول حتى وقفت على أعتابها عاجزة عن سبرها هي البديهيات[١] التي تقطع العقول بها وفي نفس الوقت تُقَطّعُها تبعًا لهواها. فطبيعة الإنسان الجدلية وميله الدائم نحو التساؤل إذا لم يبُنَ على قواعد معرفية صحيحة، ولم يُحكم بآلات العلم والبرهان، ولم تكن النفس مستعدّة للخضوع والإذعان فإنّ لا شيء في الوجود بما فيه «الإنسان» نفسه سيكون قابلاً للتصديق بوجوده، وهو بذاته لن يكون قادرًا على التفريق بين وجوده وعدمه للآخرين.

الإنسان كائنٌ واحد، جمعته أو حوته كلمة (إنسان) لكن إن أردنا شرحها وبيانها لم تعد الكلمة تكفينا فنلجأ إلى «تكثير الواحد» حتى نستطيع أن نوصل المعنى. ليس تكثّر الواحد إلا رؤيته بلحاظات متعددة، فتارة نصفه بالحيوان الناطق، وأخرى بالكائن المفكر، وثالثة بإتحاد النفس والبدن وصولاً إلى استعراض صفاته وطباعه حتى نُفّهم الآخرين ما هو (الإنسان) فقط.

وكلمّا كان هذا الواحدُ بسيطًا، وبديهيًا، كلما ازداد توضيحه وشرحه أو اثباته صعوبةً وتعقيدًا وعلى ذلك يُصبح هذا المفهوم البسيط في ذاته خاضعًا لسيطرة كلمات المنطق والفلسفة وخاضعًا لموازين الاستدلال والاستقراء والبرهنة فيها، وهي كلها موضوعة حتى لا يكون للعقل حجة في إهماله لنتائجها، ولكون ألفاظها الوحيدة المناسبة لمناقشة هذه القضايا[٢].

وعلى الرغم من ذلك فإنّ كثيرًا من الأذهان لا تقبل هذه النتائج، لا لعيبٍ فيها، إنّما لشبهة[٣] تنشأ إمّا من نقصٍ طبيعي، أو مرض عارض، أو تربية فاسدة بحسب اصطلاح المناطقة. لذا

---

[١] وهي ما لا يحتاج اكتسابها إلى بحثٍ ونظر.

[٢] لا يخفى أنّ لكل فنٍّ مصطلحاته وعباراته التي تغني عن الإطالة والاستغراق في التوضيح للفرعيّات على حساب المناقشة والإثبات للقضية الأساسية، كما أنّ لعالَمِ الطب مصطلحاته التي تعارف عليها أصحابه، ولعالم الأدب مثلها، والفنّ باختلافه، والرياضيات وسائر المجالات الأخرى مثلها وكذا فإنّ للمنطق والفلسفة المختصّان بإثبات ومناقشة القضايا العقلية والمعرفية ألفاظها ومصطلحاتها، ولا يمكن أن يتم تجاوزها حين تتم مناقشة قضية متعلقة بها مثل قضية العلة الأولى (الخالق) ومتعلّقاتها لذا فلا بدّ –أقلاً- من الإطلاع عليها ولو بنحو الإجمال حتى يكون الجواب مناسبًا للسؤال.

[٣] الشبهة: هي أن يؤلف الذهن دليلاً فاسدًا يناقض به بديهة من البديهيات، ويغفل صاحبها عمّا فيه من المغالطة. المنطق للمظفر، ج١.

فإنّ دور البرهان محصورٌ في الإثبات فقط أمّا القبول، والخضوع، والإذعان لهذا الإثبات فهي قضية تقع خارج دائرة العقل، وتنحصر بالنفس التي تريد أو لا تريد الإيمان بها، وكفى.

أخيرًا، ينبغي الإلتفات إلى أنّ للسؤال فنّه وقواعده، ومهما بدا مقبولاً فإنه قد يكون مبنيًا على مغالطة لا يلتفت لها صاحبه، والسؤال الخاطئ لا يمكن أن يُجاب عليه بإجابة صحيحة مباشرة بل لابدّ من توضيح المقدّمات اللازمة حتى يمكن الوصول إلى إجابة ترفع الإشكال، وفي نفس الوقت توّضح المغالطة في السؤال.

ومن هنا، فإنّ هذا البحث الذي تناول بإيجاز شديد، وباقتضابٍ أشد، أحد هذه الأسئلة وهو «من خلق الله؟» يأتي في سياق ذلك، وسار على منواله، وهو بحث حاول قدر الإمكان تبسيط المصطلحات المتداولة وتوضيحها في إجابة السؤال، ومضى على هذا المنهج وليست النصوص الدينية فيه إلا شواهدَ ومؤيّدات فقط لما اتفق الوصول إليه بالمنهج المنطقي الذي سار عليه الكاتب وفق الطريق الحسّي [الثاني من المناهج المذكورة سابقًا].

وأمّا التوسع في هذه الأبحاث والمناهج بعمق أكبر، فهو متروك لمحله، ولهمّة الباحث عنها والطالب لها.

والحمدلله ربّ العالمين.

سفيد

http://Safeed.BlogSpot.com

Safeedom@gmail.com

Twitter: @Safeedom

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين،

والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين .. أما بعد،

فإن من آداب البحث في علم الكلام، أن لا تجيب بالقطع والنفي، ولا تواجه المقابل باستفزاز وبمعارضة غريبة، ولكن يجب احترام رأيه، وإن كان باطلاً.

قال تعالى : " وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" سبأ/٢٤ والله - جل شأنه- على يقين بأنّ الهدى هداه، لكنه على سبيل المجاراة في الكلام، لم يجزم بعدم اصابتهم واجابتهم بما يحبون وكأنما أراد: " نحن أو أنتم على حق، أو على ضلال في هذا الأمر" وكذلك كانت آداب الأنبياء عليهم السلام وسيرتهم في التاريخ.

قال تعالى وهو يقص أحسن القصص في سيرة النبي هود عليه السلام: " قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ " الأعراف/٦٦-٦٧. ذلك أن الأنبياء عليهم السلام حينما نهضوا بأعباء التكليف والتوجيه، كانوا أوسع الناس صدرا في مناقشة الشبهات والأخطاء وأقوى مراسًا في مقابلة أخطاء المداهنين [١].

قال تعالى يخاطب ذو الخلق العظيم منهم:

" ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ " النحل/ ١٢٥.

فعلى هذا لو أخبرنا أحد عن شئ في أمر ما وإن كان بديهيا ونحن على علم بأنه مخطئ بهذا الأمر، كأن يقول: هذا اللون أسود! مع علمنا ببياضه، وأنه على مشهد من الناس. فلا نستصرخ الناس ولا نكذبه، ولا نقطع ببياض هذا اللون المعارض، أو نستعرض له خطأه، وإنما نقول له: إما أنت أو نحن على صواب، ثم نمثل له بمثال ونقول: لو كان هذا اللون كما تدّعي بأنه أسود،

---

[١] توجد آيات عديدة حول المجادلة منها ١٤٩ الانعام، ١٠٥ المائدة ، ٥٥ القصص ، ١٤-١٥ الحجر ، ١٥، النساء ، ٧ الفرقان

لكان غامقًا، ونحن نراه بارقًا، ولو كان أسودًا فلماذا نحس بدفء عندما نلمس الجسم المصبوغ به كالحديد مثلاً؟

فهذا يدل على أنه يمتص الضوء والحرارة فهو أسود، ولو كان أبيضًا لوجدناه باردًا. فاللون الأبيض يعكس الضوء وحرارة الشمس وبهذا الاسلوب الإيجابي نستطيع اقناعه.

ولا شك في أن الشباب في العصر الحالي يسأل عن كل ما يجول بخاطره، ويريد جوابًا مباشرًا مقنعًا قريبًا إلى ذهنه، حتى لو كان قاصر الفهم بالموضوع الذي يتحدث عنه.

وبما أن علم الكلام قد يمتزج مع الفلسفة، والفلسفة علم خاص بحد ذاته ويصعب فهمه بسهولة، لذا يصعب فهم الإجابة منه، وطريقة ايصال الجواب المقنع إلى السائل.

وقد يوقع المجيب نفسه في محل اشكال لكونه يضطر إلى اعادة فكرة الموضوع، وهذا من معايب الكتابة على رأي.

أيضا يواكبه على البرهان لأشياء مسلم بها، لذا يتجنب أكثر العلماء ايصال الشئ المستعصي إلى ذهن السائل بوضوح، مع أنّ ذلك لا يضعف شيئا من قدره.

فالكتاب الفلسفي كتاب علمي، وليس بكتاب أدبي تشترط فيه الأمور التي تجعل من الكتاب موضع نقد.

لذا قمت بكتابة هذا البحث المتواضع، وصبّه في طريقة يسهل فهمها لمن درس العقائد، أو لم يدرسها، والله من وراء القصد.

مالك مهدي خلصان السويعدي

الفصل الأول

من خالقه؟[١]

س: أليس لكل موجود موجد؟ فمن أوجد الله يا ترى؟

ج: هذه مغالطة، فمن أين لك أن كل موجود لابدَّ له من موج؟.

س: فلماذا تقولون: إن السماء والأرض والجبال والأنهار والبحار والنباتات والإنسان والحيوان، لها موجد؟

ج: لأن هذه مصنوعات، وكل مصنوع لابد أنّ يكون له صانع.

س : ما الفرق بين المصنوع، وبين الموجود، لتقولوا أنّ الموجود لا يلزم أن يكون له موجد دائما؟! أما المصنوع فلابد أن يكون له صانع؟

ج: الفرق:

أن المصنوع معناه: الشئ الذي صُنع، وكل شئ صنع لابد له من علة صنعه.

أما الموجود فهو على قسمين:

١- قسم مصنوع، ولابد له من صانع..

٢- وقسم غير مصنوع (وهو الله) ولا صانع له، بل هو صانع الأشياء.

س: ما هو أول الاشياء؟

ج: الله : أول الاشياء.

س: فمن خلق الله..؟

ج: لا خالق لله.

س:وكيف يمكن أن يكون شئ بلا خالق؟

ج: نعود لسؤالنا الأول ونقول: ما هو أول الاشياء، في رأيكم، أيها الطبيعيون؟

ومهما قلتم: أنّه أول الأشياء، سواء الأثير أو المادة أو غيرها.

نقول لكم: من خلق ذاك الشئ الأول؟

---

[١] عن كتاب هل تحب معرفة الله ؟ سلسلة الثقافات الاسلامية بتصرف

تقولون في الجواب: الشئ الأول: (المادة الأثير) هو كائن بلا خالق.

ونكرر عليكم فنقول: الشئ الأول، في اعتقادنا (هو الله) كائن بلا خالق، لأنه شئ لا كالأشياء.

إذن، نحن وأنتم سواء في الاعتراف بوجود شئ هو أول الاشياء، بلا خالق، لكنا نقول: الشئ الأول (الله) وأنتم تقولون: الشئ الأول (المادة).

س: فما الذي يدل على صحة كلامكم، دون كلامنا؟

ج: الفرق بين كلامنا وكلامكم.. كالفرق بين من يقول أن باني الكون [رجل] جاهل عاجز، وبين من يقول أن بانيه رجل قادر عالم.

س: وكيف ذلك؟

ج: إن المادة جاهلة عاجزة، فلا يمكن صدور هذه الأشياء المتقنة منها، بخلاف الله، فإنه عالم قادر، فيصح استناد الكون إليه.

س: كيف يمكن أن يكون شئ بلا أوّل. كما تدّعون أنتم بالنسبة إلى (الله)؟

ج:

أولا: هذا الإيراد يَرِد عليكم أيضًا، كما تدعون أنتم بالنسبة إلى (الأثير أو المادة).

ثانيًا: ولماذا يستحيل وجود شئ بلا أول؟

إنه لم يدل دليل منطقي على استحالة شئ بلا أول، وإنما دل الدليل على استحالة مصنوع بلا أول.

س: وجود الله من أين؟

ج: وجود الله ليس صفة زائدة حتى يسأل عنه بذلك؟

فإنه بذاته موجود لا بصفة زائدة، فوجوده عين ذاته لا أنّه ذات لها صفة الوجود.

س: ما معنى ذلك؟

ج: معناه أنه لم يكتسب الوجود من شئ آخر أي أنّه لم يكن مفتقرًا إلى الوجود، بل هو بذاته موجود.

س: وكيف يوجد شئ بلا وجود زائد عليه؟ هل هناك مثال يقرب لنا ذلك؟!

ج: نعم. أمثلة متشابهة كثيرة، لا مثال واحد.

س: بيّنوا..!

ج: النور، الحرارة، النظام..

س: وكيف؟

ج: ضياء كل شئ بالنور، أما ضياء النور فمن نفسه، بمعنى أنه لا يضيئه غيره.[١]

حرارة كل شئ بالنار، أما حرارة النار فمن نفسها، بمعنى أنها لا تكتسب الحرارة من غيرها.

نظام الأمور بالعقل، بمعنى أن العقل هو الذي ينظم حركات الإنسان وسكناته، أما نظام العقل فمن نفسه. بمعنى أنه لا يكتسب النظام من شئ آخر.

إذا تدبرت في هذه الأمثلة البسيطة نقول في مقام التشبيه - وإن كان مع الفارق-: إن وجود كل شئ بالله، أما وجود الله فمن ذاته[٢].

س: ماذا صار حاصل هذه البنود الأربعة؟

ج: حاصلها:

١- أن الطبيعي والمؤمن كلاهما يقولان، بأول الأشياء.

٢- لكن الشئ الأول الذي يقوله الطبيعي لا يمكن أن يكون أوّلا.

أما الشئ الأول الذي يقوله المؤمن يمكن أن يكون أوّلا.

٣- ومن الممكن أن يكون وجوده من ذاته، وشئ وجوده من غيره.

٤- وكما أن النور ضياؤه من ذاته، وسائر الأشياء، كالغرفة ومحتوياتها.

ضياؤها من النور.

أمّا بالنسبة إلى عدم وجود موجد للخالق، فهكذا يقولون:

الشئ إما واجب، وإما ممكن، والواجب وجوده من نفسه، لأنه لم يتطرق إليه العدم حتى يحتاج إلى موجد[٣] والممكن وجوده من غيره، لأنه كان معدومًا ثم وُجد، فالواجب هو الله، والممكن سائر الأشياء.

---

[١] لا يوجد شئ وجوده من ذاته سوى الله لأن ذاتيته ينفرد بها ،فالضياء يترشح منه النور، والنورية اكتسبت من ذاتها لا من الأرض مثلاً ، لكن هذا الاكتساب بواسطة الغير وهو الله لأن القائم بذاته يكون قديمًا أزليًا

[٢] ملوحة الملح من نفسه بمعنى أنه لم يكتسبها من السّكر أو غيره.

[٣] بمعنى أن الواجب وُجِد بذاته لم يسبقه عَدَم حتى يكون محتاجًا إلى من يخرجه من حالة العدم إلى الإيجاد، بعكس الممكن [المُعد]

وأمّا بالنسبة إلى عدم صلاحية سائر الأشياء (غير الله) لأن يكون أولاً، فهكذا يقولون:

١- العالم متغير (صغرى).

٢- وكل متغير حادث (كبرى).

٣- فالعالم حادث (نتيجة).[١]

والحادث لا يكون أولاً.

وأما الأول " فلأن كل الأشياء في العالم قابلة للتغير والتحول وعروض الطوارئ عليها ".

وأما الثاني: فلأن ما يتغير لابد أن يكون له مُغير، فالمُغير سابق على المتغير، فهو حادث.

وأما الثالث: فلأن الحادث جديد، والجديد لا يكون قديمًا.

إذن: فغير الله حادث، والله وحده هو الأول: السابق القديم على جميع الأشياء..

الواجب والممكن والممتنع.[٢]

س: قد وردت عبارات منطقية، وأخرى فلسفية في هذا الموضوع. فما المقصود بالواجب، والممكن؟

ج:

المعقول:

هو العلم الحاصل، وبعبارة أخرى: هو الصورة التي تحصل لدى العقل إذا نسبنا لهذا المعقول الوجود الخارجي، فإنه يقسم إلى شئ يمكن وجوده في الخارج وهو الممكن، أو لا يمكن وجوده وهو الممتنع، أو يجب وجوده في الخارج وهو الواجب.

---

[١] هذا قياس اقتراني حَمْلي من الشكل الاول. [القياس المنطقي ليس استنباطًا إنما أداة تساعد على الاستنباط بشرط صحة المقدمات التي هي من مسؤولية المختص – المُعِد]

[٢] الوجوب : ضرورة ثبوت المحمول لذات الموضوع ولزومه له على وجه يمتنع سلبه عنه (ضرورة الايجاب)

الامتناع : استحالة ثبوت المحمول لذات الموضوع فيجب سلبه عنه (ضرورة السلب)

الامكان : (الخاص،الحقيقي) : سلب الضرورتين فلا يجب ثبوت المحمول لذات الموضوع ولا يمتنع.

الامكان العام : سلب احد الضرورتين أي سلب الضرورة عن الطرف المقابل مع السكوت عن الطرف الموافق.فاذا سلبت ضرورة الايجاب فهو الممتنع الوجود أو الامكان الخاص وإذا سلبت ضرورة السلب فهو الواجب الوجود أو الامكان الخاص.

فالممتنع:

هو المعدوم غير الموجود خارجًا وذهنًا. ولا نستطيع وصف وجوده، لكن يمكن للذهن أن يرسم له صورة كاذبة لواقع وجوده . فهو ممتنع الوجود لذاته، كشريك الباري فإن صورته ليس لها أثر في الخارج، ولا في الذهن، ولا نستطيع رؤيتها، فيسمى الممتنع الوجود لذاته.[١]

الواجب:

أما الواجب وجوده لذاته: فهو موجود لذاته لا لغيره. فالملوحة من الملح ذاته ولم يكتسبها من غيره[٢] فوجوده بالخارج اعتباري عقلي ليس لوجوده تحققٌ بالأعيان [المحسوسة]، إلا أنه موجود ويمكن للذهن أن يرسم له صورة ويصطنعها ولكنها غيره، و واجب الوجود هو (الله تعالى).

الممكن:

أما ممكن الوجود: كالكائنات وهو ما عدا الواجب كالحيوان، والإنسان فهو ممكن وجوده، وممكن عدمه ، و وجوده متوقف على وجود غيره.

لأنه محتاج إلى ذلك الموجود الآخر ليؤثر فيه، ويوجده بتأثيره عليه فهو محتاج، ووجوده متحقق خارجا وذهنا. وكذلك قابلية الامكان محتاجة، وهي القابلية على الايجاد والعدم.[٣]

---

[١] أما الممتنع الوجود لغيره: فإنه ممتنع وجوده بالخارج ، لكن لا لذاته بل لغيره ، وهو كالمطر فإنه لا يظهر لعدم وجود الغيم ، والشمس لا تظهر في الليل لا لخفائها أو عدمها وإنما لاعراض جانب الأرض عنها، والنار لا تظهر لعدم وجود الحطب، والطين لعدم وجود الماء لمزجه، والزرع لعدم توفر وتهيئة أسباب وجوده، فهو ممتنع لسبب، مع أنه موجود بالأصل.

[٢] أما الواجب وجوده لغيره ، كوجود الشئ الذي اكتسب وجوبه من شئ آخر كالحرارة من النار .فوجود الحرارة متوقف على وجود النار ولولا صدور النار ما ظهرت الحرارة بدونه ، وكون هذان القسمان من أقسام الممكن الوجود أي (الممتنع لغيره والواجب لغيره).

[٣] والإمكان على قسمين: امكان عام وامكان خاص،والإمكان العام هو سلب الضرورة [أي الافتقار] عن الطرف المقابل، وأما الطرف الموافق فمسكوت عنه .فتارة تسلب الضرورة عنه أيضًا ، وتارة لا تسلب [كما في قولنا: "شريك الله ممكن العدم" أي أنه غير ضروري الوجود، أما أنه ضروري العدم أم غير ضروري العدم؛ فذلك مسكوت عنه]

والإمكان الخاص:هو سلب الضرورة عن الطرفين فيكون وجوده وعدمه سواء [كما في قولنا: "الإنسان ممكن" أي أنه غير ضروري الوجود كما أنه غير ضروري العدم، وكذا في قولنا: "يمكن للسماء أن تمطر" فمعناه سلب ضرورة أن تمطر وسلب ضرورة أن لا تمطر كذلك]

كالخيّاط له قابلية ايجاد الثوب وخياطته. فصناعة السجادة مثلاً تحتاج إلى صانع لايجادها، أوعدم ايجادها.

فالخيّاط هو ممكن، له ماهية الممكن، ومحتاج بنفسه إلى خالق ليوجده.

الدَّوْر[1]

س: ما هو الدور؟ وما رأيكم به؟

ج: الدور هو توقف وجود الشئ على شئ آخر، وذلك الشئ الآخر يتوقف وجوده على وجود الشئ الذي أوجده والدور باطل لأنه يوجب توقف الشئ على نفسه.

س: أوضح ذلك لماذا يكون الدور باطلاً؟ وما الدليل؟ وما المقصود باجابتكم بأن الدور يؤدي إلى توقف الشئ على نفسه؟

ج: إذا قلنا هذه الدجاجة المشخصة من هذه البيضة المشخصة، والبيضة[2] من الدجاجة، أي أن البيضة يتوقف وجودها على الدجاجة.

والدجاجة بنفسها يتوقف وجودها على وجود البيضة. فكلاهما يتوقف وجوده على الآخر ولا نصل إلى نتيجة، ولابد أن ينتهي بنا الاستنتاج إلى أن نجزم بوجود البيضة أو الدجاجة أولاً[3]، وإذا طبقنا الدور وقلنا الدجاجة وجدت من البيضة، والبيضة وجدت من الدجاجة، وكلاهما متوقف وجوده على الآخر، فهذا يسمى الدور وهو باطل.

---

[1] المقصود هنا الدور المّعي أو المصرح وليس الدور المضمر أو المستطيل [الدور المصرح هو كقولنا توقف أ على ب وتوقف ب على أ بحيث لا توجد واسطة (فاصلة) بين أ و ب بعكس توقف أ على ج بوجود ب في المنتصف - المُعِد].

[2] انما قيدت الدجاجة بقولي هذه الدجاجة المشخصة وهذه البيضة المشخصة لكي لا يفهم من قولي الدجاجة أو البيضة المفهوم العام لهما أي افرادهما لانه ليس دورا .والدورالذي يقع بين مشخصين هذه الدجاجة المشخصة بعينها وهذه البيضة المشخصة بعينها وليس مفهوم الدجاجة او البيضة أو افرادهما لانه ليس دورا .ولم أقصد فيهما الملازمة كملازمة الحرارة للنار والضوء للشمس لانه يتوقف وجود احدهما على الآخر بالملازمة .وكذلك الاب والابن هذا الاب المشخص وهذا الابن المشخص بعينه أما غيرهما قد يصح كونه أبا وابنا بآن واحد مثل كونه أب لشخص وابن لآخر غيره.

[3] لا نريد هنا ان نجيب عن السؤال الفلسفي القديم قدم الفلسفة ، الدجاجة من البيضة أم البيضة من الدجاجة؟! وان كان لنا رأينا الخاص به لانه يمكن للخالق أن يفيض الوجود على البيضة أولا وتخرج منها الدجاجة ويمكن العكس .

وإذا أمعنا النظر، بأن البيضة نتاج الدجاجة، ونحتاج إلى فترة لتفقيسها، فالدجاجة أولى بالوجود لأنها هي الأصل خلقها الله، وخرجت منها البيضة، ومن هذه البيضة خرجت الدجاجة وأوجدت بيضة أخرى، ومنها دجاجة ثانية.

لكن ليست الدجاجتان من بيضة واحدة ، بل كل واحدة من بيضة.

كذلك الابن من الأب، والأب ولد من شخص آخر. لكن ليس هو أبٌ، وابنٌ بوقت واحد. بل هو أب لولد، وابن من شخص آخر، لا من نفس الولد. صحيح أن التفقيس هو ايجاد الدجاجة من البيضة. لكن لا تكون البيضة موجدة، ثم إن البيضة الثانية موجودة، وكذا التوالد. الأب مُوجد، وابنه موجود، والجد موجد للأب، ولم يكن الأب موجد للأب وموجود منه.

فالقول بأن الدجاجة من البيضة، والبيضة من الدجاجة، وذلك لأن المشكك في هذا الدور لا يرجع إلى العلة في أصالتها الأولى لأن الحق أن الدجاجة من البيضة، والبيضة ليست من الدجاجة، بل من دجاجة أخرى غيرها، والبيضة ناتج (فرع)، والدجاجة منتج (أصل).

فالبيضة كما قلنا تحتاج إلى وقت لايجادها، والدجاجة مرة واحدة تكون موجودة بدون تدرج، لكن البيضة تحتاج إلى (٢١) يومًا لتكمل وتصبح دجاجة كاملة، أو فرخة.

الدجاجة (خلقها الله) ← البيضة ← دجاجة ١ ← بيضة ← دجاجة ٢

الجد ← الأب (خلقه الله) ← الابن

بطلان الدور[١]

س: قد فهمنا الدور وما يقصد منه. ولكن كيف تثبت بطلانه كما بينتم أوضح ذلك؟

ج: ١- البيضة عندما أوجدت الدجاجة فهي بذاتها موجودة أصلاً، وعندما أوجدت البيضة، كانت الدجاجة معدومة، وليس لها وجود قبل ذلك.

٢- والدجاجة عندما أوجدت البيضة. فهي بذاتها موجودة أيضًا، وعندما أوجدت البيضة، فالبيضة هنا معدومة، وليس لها وجود، فتكون الدجاجة موجودة وغير موجودة.

والبيضة موجودة وغير موجودة، أي أنها موجودة ومعدومة بآن واحد.

لأن البيضة عندما أوجدت الدجاجة التي ما كان لها نصيب من الوجود، يلزم أن تكون الدجاجة موجودة بنفس الوقت لأنه يتوقف وجود البيضة وانتاجها على الدجاجة ومنها.[٢]

كما مبين بالتخطيط:

البيضة (١) موجودة والدجاجة (٢) غير موجودة (الحالة الاصلية)

يتوقف هنا عند ايجاد البيضة(٣) على وجود البيضة (١) لتخرج الدجاجة (٢)

الدجاجة (٢) موجودة والبيضة (٣) غير موجودة

البيضة ١ ⟵ الدجاجة ٢ ⟵ البيضة ٣

(الناتج موجودة ومعدومة معا " بآن واحد ")[٢]

أي ان البيضة (١) موجودة لأنها أوجدت الدجاجة (٢) والدجاجة معدومة عندما ارادت هذه الدجاجة ايجاد البيضة (٣)

---

[١] هنا مثال يمكن أن يضرب لتقريب الصورة للذهن، فلو شاهدنا قطارًا يتكوّن من ٥ عربات مثلاً، فإن العربة رقم ٥ تسير على نفس سكة العربة رقم ٤، وهي تسير على نفس سكة العربة رقم ٣، وهكذا مع باقي العربات، إلا أنها كلها تتوقف على العربة رقم ١ التي تتحرك وتسير وبمسيرها تجر باقي العربات وتدفعها للحركة، وهكذا لابد للتسلسل أن ينتهي إلى نقطة بحيث لا ندور في حلقة مفرغة [المُعِد]

[٢] إنما نقصد هذه الدجاجة المشخصة (أي المحددّة) يتوقف وجودها على هذه البيضة المشخصة (أي المحددة). وهذه البيضة المشخصة يتوقف وجودها على هذه الدجاجة المشخصة نفسها . . ولم أقصد بيضتين بل بيضة واحدة فيتوقف وجود البيضة على البيضة نفسها .

فالبيضة١ نفسها البيضة٣[1] .

تقدّمُ الشيءِ على نفسه

س: قد بينتم بإجابتكم عن بطلان الدور لأنه يؤدي إلى تقدم الشئ على نفسه، فما المقصود بذلك؟

ولماذا تستنكره؟

ج: لأن ناتج الدور يوجب وجود الدجاجة قبلها. فالبيضة متوقف وجودها على الدجاجة. إذن توقف وجود ايجاد الدجاجة على وجود الدجاجة نفسها، لكي توجد البيضة، فيلزم تقدم وجود الشئ على نفسه. أي وجوده قبل أن يوجد

بمعنى إيجاد نفسه قبل وجودها، أي وهي معدومة. وللايضاح انظر للتخطيط:

الدجاجة المشخصة

^

^

البيضة المشخصة > > دجاجة مشخصة

(توقف وجود الشئ على نفسه)[1]

موجود قبل أن يوجد

والدجاجة يجب ان يتوقف وجودها عند وجود الدجاجة على وجود الدجاجة لتوجد البيضة - المجموع بيضة واحدة مع دجاجة واحدة فقط ولا توجد دجاجة.

---

[1] تتوقف معرفة الشمس على معرفة النهار ، ومعرفة النهار على معرفة الشمس مما يؤدي إلى توقف معرفة الشمس على معرفة الشمس نفسها .

التسلسل[1]

س: ما هو التسلسل؟ وما رأي الدين الإسلامي فيه؟

ج: التسلسل: هو التدرّج بالخالق. بأنه مخلوق من آخر، والخالق مخلوق من قبل خالق غيره، ويؤدي إلى مالا نهاية له، والجميع يصبحون مخلوقين وهو باطل، لأنه يؤدي إلى احتمالات ونتائج باطلة.

س: أوضح هذه الاحتمالات؟

ج: التسلسل: هو ترتيب سبب وأسباب بحيث يكون السابق علة في وجود اللاحق، أي خالق ومخلوق[2].

فالسابق خالقه، ولاحقه أي خالق وقد خلقه آخر، والآخر خلقه إله آخر غيره، وهكذا، وهذا باطل لأنه تسلسل ولأن جميع أفراد السلسلة التي تجمعهم تكون ممكنات (= أي مخلوقات). فتكون كل السلسلة ممكنة. لأنها محتاجة إلى خالق،ومؤثر لها.

فتشترك هذه السلسلة بأكملها في الاحتياج إلى مؤثر يخلقها ويوجدها..

وهذا المؤثر، أو الموجد، إما أن يكون نفس السلسلة، أو جزءًا منها، أو خارجًا عنها.

إذن فالاحتمالات تكون ثلاثة:

١- المؤثر نفس السلسلة[3]:

إما أن يكون المؤثر نفس سلسلة الممكنات، وهذا لايجوز لأنه لا يصح تأثير الشئ على نفسه[1] أي يستحيل ان يكون الممكن قد خلق نفسه. وإلا لزم تقدم الشئ على نفسه كما بينا

---

[1] التسلسل : هو عملية انتقال مستمر في السؤال عن علة اللاحق للسابق وعلة السابق للاحق وهكذا إلى ما لا نهاية [اتصال بعض الأشياء ببعض إلى ما لا نهاية] ولما كان لم ينته بنتيجة فقد اتفقت كلمة العقلاء على بطلانه.

[2] العلة : كالخالق إذا صح التعبير أو كالنار . المعلول : المخلوق أو الحرارة .التقدم : أي المتقدم في خلقه ووجوده قبل غيره . التأخر : أي المتاخر في خلقه ووجوده ومجيئه كائن بعد غيره متاخرا في خلقه . الموقوف عليه : الخالق (متوقف عليه وجود غيره) . الموقوف : المخلوق (موقوف وجوده على غيره)

[3] المؤثر : أي الخالق لها الذي يؤثر بإيجاده لها .

وهو باطل. لأنه إذا كان المُمكن خالقًا، يستلزم أن يكون مخلوقًا قبل أن يَخلُق، فيتوقف وجوده على نفسه. أي هو الذي أوجد نفسه، وخلقها لأن وجودها متوقف على وجوده. .

٢- المؤثر جزء من السلسلة:

أما إذا كان المؤثر الخالق جزءا من السلسلة، أي كونه واحدًا من الممكنات، فيلزم أن يكون مؤثرًا في نفسه. لأنه من جملتها. أي هذا المؤثر: هو جزء من هذه الممكنات التي في الحلقة. فيجب تقدمه على نفسه، وعلى علله.

مثل الإنسان إذا كانت يده هي التي أوجدته، فيتوقف وجود يده عليها (أي ذات اليد). والإنسان كله على يده، لأنها موجدة له. فيلزم قِدَمُه على نفسه ليخلقها، وعلى عِلَلَه (جسمه) ليخلقها وذلك باطل.

٣- المؤثر خارج عن السلسلة :

إذا كان المؤثر خارجًا عن حلقة الممكنات فيجب أن يكون واجبًا، لأنه خارج عن سلسلة الممكنات، والموجودات كما قدمنا إما ممكنة أو واجبة فإذا أخرجناه عن السلسلة لابد وأن يكون واجبًا لأنه لا توجد واسطة بين الواجب والممكن، فيصبح هو "واجب الوجود" وهنا احتمالان:

الأول: وهو الذي نقر به نحن، على أن ذلك الخارج هو الله واجب الوجود لذاته.

الثاني: كون المؤثر ممكن مثلها، فيلزم دخوله في السلسلة لأننا قد حصرنا كل ممكن فيها فيلزم منه أن يكون واجبًا وممكنًا في آنٍ واحد، وهذا لا يمكن، لأن الموجود كما قدّمنا إما أن يكون واجبًا أو ممكنًا. وهذا باطل لأنه اجتماع لخالقَيْن مستقلين على مخلوق واحد شخصي.

وإذا أخذنا الحَلَقَة، فالخالق الأول قد خلق لنا إلهًا آخر، والثاني خلق إلهًا ثالثًا، فيكون الثالث قد خلقه الثاني والخارجي معًا، لأن موارد الكل جميعها ممكنات كما بيّنا سلفًا أي

---

[١] المؤثر فيها هو نفسها لان نفس الشئ هو عين الشئ ، والشئ الواحد لا يتصور بحقه العلية والمعلولية من جهة واحدة لانه يلزم تقدمه على نفسه باعتبار كونه علة يلزمه التقدم ومعلولا يلزمه التأخر، وهو شئ واحد فكيف يكون في حالة واحدة متقدما ومتأخرا .

مخلوقة. فإذا أخذنا أحدهما، وجعلناه خارجًا عنها، فهو بالأصل مخلوق[١]. ولاحقه مؤثر فيه، وبنفس الوقت يكون مؤثرًا وخالقًا، فلا يصح ذلك حينئذ، لأنه لا يجوز للشخص أن يكون أبًا وابنًا لشخص واحد. أي الابن موجِدٌ للأب وموجود منه بنفس الوقت.

و [كمثال لذلك لتقريب الصورة] الكُحل، هو واحد لكننا نستطيع تمييز حُسنِه على الأشخاص. أي إذا تكحلت بنتان نعرف بأنه قد يكون هذا الكحل جميلاً في وجه إحداهما دون الأخرى.

لكن الكُحل نفسه لا يصح معرفة حسنه إلا مع غيره، لكونه عارضٌ [أي مُضافٌ وليس من الذات] على الأشياء، كذلك الشخص، لا يتوقف وجوده على نفسه. فيلزم استغناء الإله الخارج عن الممكنات حال احتياجه لها، لأنه كيف يخلق الممكنات، ويستغني عنها وهو محتاج إليها؟

لأنه كان مخلوقًا منها بالتأثير اللاحق، فيجتمع نقيضان. أي الاحتياج والغنى بوقت واحد. وهذا باطل لايصح كون الشئ غنيًا وفقيرًا أو أبيضًا وأسودًا في مكان واحد وزمان واحد معًا.

فالشئ الممكن هو بالأصل ضمن السلسلة، مخلوقٌ ومحتاج إليها، فكيف يصح أن يكون خارجا عنها ويخلقها ويستغني عنها؟

إيضاحٌ لبطلان التسلسل

س: قد فصّلتم التسلسل والإحتمالات المتعلقة بشأنه لكن لم توضحوا كيفية بطلانه؟

ج: إليكم إيضاحًا مع تخطيطٍ مبسط لبطلان التسلسل موافٍ لما تقدم ذكره، حسب الاحتمالات:

١- الاحتمال الأول:

في هذا الاحتمال.

[١] أي أنه لو أخذ الإله رقم ١ ثم جعلناه الأعلى فإن الإله رقم ٣ يكون مخلوقًا للرقم ١ و٢ معًا، والإله رقم ١ مخلوق للإلهين رقم ٢ و٣ معًا، وهكذا تستمر الدائرة لأن كل واحدٍ منهم يعتمد على الآخر في وجوده. (المُعِدُّ)

الخالق الثالث لا يستطيع أن يكون علة لوجود نفسه (قبل وجوده). أي يكون موجودًا قبل وجود ذاته (ليخلقها). أي بمثابة الخالق الثاني كما تراه بالرسم علة لوجود الخالق الثالث. فلا يكون الثالث علة لوجود نفسه.

خالق١ وجد نفسه	خالق٢ وجد نفسه	خالق٣ وجد نفسه	خالق٤ وجد نفسه
خالق١ وجد نفسه	خالق٢ وجد نفسه	خالق٣ وجد نفسه	خالق٤ وجد نفسه
===> الى مالا نهاية له			

٢- الاحتمال الثاني:

يلزم علينا أن يكون الخالق مؤثرًا في نفسه. وان الخالق الثالث قد خلقه الثاني، لانه جزء منها، وانفرد وأثر في علله أيضا. فيكون نيابة بالمحل من الخالق الثاني ليخلق نفسه، ويكون خالقه الذي خلقه أي الخالق الثاني، وعلة لوجود الرابع بالاصل.

أي أنّ الثالث خلق نفسه، وخلقَ عِلله التي هي الأول، والثاني، ومعلولاته الرابع والخامس

خالق٣			
خالق١	خالق٢	خالق٤	خالق٥

٣- الاحتمال الثالث:

نجد في المخطط أن كل واحد مؤثر بوجود الآخر. فإذا جاء إله خارجي وأثّر بوجودات حلقات السلسلة جميعًا فيصبح [هناك] سببان لخلق السلسلة.

<u>أولها</u> أن السلسلة خالقها موجود. مثل الخالق الثاني قد أوجده الاول، والخالق الثالث أوجده الثاني، والخالق الرابع قد أوجده الثالث، وهكذا..

فكيف يكون قد أوجدها هذا الخالق؟ وبنفس الوقت خالق آخر خارج عنها.

هذا يلزمه اجتماع إلهين، لأجل خلق أفراد السلسلة.

<u>وثانيها</u>، وأما لو كان يصح اجتماع العلتين، فهذا لا يجوز، لأنه يكون محتاجًا للسلسلة لأجل أن تخلق، بعضها من بعض، وبنفس الوقت يستغني عنها لكونه هو الخالق لها.

فهو غني ومحتاج بنفس الوقت. مثل الخالق الثاني غني، لأنه خلق الإله الثالث فهو خالق، ومحتاج لخالق خارج عنه، فهو غني ومحتاج . . غنيٌ عن الإله الخارجي، لأنه قد خلقه الإله الأول ضمن السلسلة (أي الإله الذي قبله). ومحتاج إلى الخالق الخارجي ليكون نهاية السلسلة ليوجده، ويتوقف عليه وجوده، ووجود السلسلة، وهذا باطل.

خالق خارجي				
خالق١	خالق٢	خالق٣	خالق٤	خالق٥

الإله ٢غني لأنه خلق الإله ٣ وخلقه الإله ١ فلا يحتاجه ومحتاج للإله الخارجي لأجل أن يخلقه. والإله الخارجي هنا تستطيع فرضه إلهًا على المخلوقات أي ممكنات وليس بفرض خالق ١ ، ٢ إلخ ...

المعقول[١]

الحادث[٢]:

له محدث موجود بذاته لأنه لا يخلو كل معقول (موجود) بأن:

١- إما أن يكون الذي أوجده شيئًا معدومًا، وتأثيرُ العدم بالموجودات مستحيل.

٢- إما أن يكون الموجود انقلب هو بنفسه إلى الوجود بعدما كان معدومًا بلا علة (خالق). وهذا ترجيح بلا مرجح، أي أولوية شئ [تقدّمه] بدون سبب لتقدمه، وهو مستحيل.

٣- أو أن الموجود أوجد نفسه. أي هو الذي أثّر في نفسه فأوجدها[٣]. وهذا مستحيل، لأن ذلك يرجع لاحتمالين:

---

[١] عن: تنبيه الغافلين، بتصرّف.

[٢] الحادث أو المُحدَث: هو المعقول أو الممكن (المخلوق) [أي ما حدّث وأُوجد من العدم بفعل الخالق- المُعِدّ]. أمّا المُحدِث : المؤثر (الإله)

[٣] الخالق لا يجوز أن يخلق نفسه ويخلق العالم في آن واحد. وإلا حقَّ التساؤل: أين كان لكي يخلق نفسه قبل خلقه لنفسه؟ [فإن كان قبله العدم، قلنا بأن الخالق حادث (!) والعدم أسبق منه وإن كان هو والعدم وجدا في نفس الوقت وهو أوجد نفسه، فمن أوجد العدم؟– المُعدّ]

أ- فهو إما أنه عندما أوجد نفسه بحالة كونه معدومًا، فيلزم منا أن يكون العدم مؤثرًا وخالقًا ويستحيل للعدم ذلك. [أي أن الخالق كان عدمًا، ومن العدّم أوجد نفسه، وهذا لا يصح لأن العدم غير مؤثر – المُعد] لأنه يلزم تأثير المعدوم في نفسه، وهو أكثر استحالة من تأثير العدم في غيره.

ب- وإما أنه أوجد نفسه في حالة كونه موجودا. وهذا محال لأنه تحصيل للحاصل. أي تكوين شئ وهو موجود أصلاً.

فلا يصح كون مُوجده موجودًا آخر مثله، لأنه ممكن، والممكن لا يستقل بالخلق لكونه محتاجا لمؤثر، و الخالق يجب أن يكون موجودا بالذات الأزلية بلا مثيل.

الإله أم الطبيعة؟

س: لقد أثبتم وجوب أولوية خالق، وبينتم ذلك. لكن ما وجه الحكمة على أولوية وترجيح الإله على الطبيعة؟

ج: لا شك في أن وجود الله أصلح من وجود الطبيعة، وذلك لحكمته تعالى ، وكماله وعدم شعور الطبيعة فضلاً عن حكمتها وكمالها. ويكفي ما يشاهده الإنسان من عجائب ويكتشف قدرته في مخلوقاته سبحانه، ويتأمل في الكون بما فيه من انسان، ونبات، وحيوان، وبحار. وأبسط الامور تدل على حكمته، في أبسط مخلوقاته. فإذا تأملت حياتك فسوف ترى الأنثى ترضع طفلها من ثديها بواسطة الحلمة التي يتدفق منا اللبن، ويتخللها ثقب، أو عدة ثقوب صغيرة. بحيث يخرج اللبن بتوازن. بمقدار الحاجة، فلا ينصب صبًا. فما وجدنا أمراة قط قد عانت في رضاعها من أنغلاق في مجرى حلمة الثدي بحيث يتعسر خروج الحليب إلى فم الرضيع بينما نلاحظ ذلك في حياتنا اليومية، فيما إذا كانت المراة تستعمل الحليب الصناعي في الرضّاعة، وتناوله للطفل بواسطة قنينة وهي قنينه تحوي برأسها صمّام له فتحة يخرج منه اللبن. وهذا الصمّام قد يكون مسدودًا، فنثقبه، وقد يكون مفتوحًا. فمرة تراه مسدودًا لا يخرج منه اللبن، ومرة تراه مفتوحا بصورة بحيث يتسرب منه اللبن بغزارة.

ولو كانت المرأة من خلق الطبيعة، لوجدنا امرأة يخرج منها اللبن بتدفق، أو أن حلمتها مسدودة، ولا يخرج من ثديها شئ. كما يحصل في الثدي الصناعي (الممّة) ولكان خلقها عشوائيًا.

كما نلاحظ في صناعة المكائن التي تصب. ونرى في الإنتاج عيوبا كالانسداد، أو توسع الفتحة، فمن هنا يجب علينا ارجاع الأشياء لأصولها، وخالقها ومدبرها.

كذلك الإنسان، عندما يخدّر جسمه لاجراء عملية، تخديرًا عامًا، فيتخدّر بأجمعه ماعدا بُصيلة الدماغ المسؤولة عن التنفس اللاأرادي للانسان، ولو تخدّرالانسان كله لتخدّر قلبه ومات. وتأمل الطفل، فلو خلق متعقلاً، لما كان اجتماعيًا، ولم يألف عائلته وأخته لكونه معزولاً عن أسرته ولم يرتبط بهم، ولم يتعايش معهم. وإنما حصر بينهم للترابط، ولحكمة لا تستطيع الطبيعة تعَقلّها.

وتأمل الحكمة في خلقة أسنان الطفل وغذائه، فعند لين عظامه يتغذى على اللبن، ولكنه لمّا يشتد عظمه يحتاج إلى أسنان يستعين بها على هضم الطعام الصلب. فلو كانت الطبيعة خالقة للزم من أحدنا انتظار ظهور أسنانه لأجل أن يأكل بواسطتها.

وكذا المرأة، عند الطلق يخرج وليدها بعد تمامه بلا نقصان.

وكذلك نرى الموازنة في تكامل الأعضاء. فعندما تُلجئه الطبيعة إلى التبول يخرج منه البول بانبساط وانكماش فيحس بحاجته لذلك. وكذا الافرازات الاخرى. ويعضد قولنا تناول السيد عبد الله شبّر - قدس سره - في كتابه «حق اليقين»:" وفكر في الأعضاء التي خلقت زوجًا وفردًا فإن الرأس مثلاً لو كان زوجًا لكان كِلاً على الإنسان لا فائدة فيه بخلاف اليدين والرجلين والعينين ونحوها وكان حكم تعددها لا يخفى " .

ولم نجد زيادة في الجسم من وجود تعدد في الأعضاء كوجود رأسين كما بيَّنا أو ثلاث أرجل، لعدم حاجته لها، ولا نجد نقصانًا بعضو من الأعضاء كإنسان مخلوق برجل واحدة، أو يد، أو عين واحتياجه لأخرى.

ولاحظ تركيب الجسم فلا نرى الأنف مفتوحًا للأعلى، لكيلا يدخل عليه الماء، وأشياء أخرى، لا تستطيع معامل كبرى أن تعمل عمل أصغر غدة في جسم الانسان.

وتأمّل الحيوان، فالجمل يسير في الصحراء بدون مخالب. ولو كان من خلق الطبيعة لوجدنا فيه عبثا كأن تظهر له مخالب مثلا كالاسد فهل علمت الطبيعة بعدم حاجته للافتراس؟ فما هو جانب عظمة الخلق؟

ولاحظ الحيوانات الوحشية بلا وعي ولو أعطيت الذهن لهاجمت البشر. وترى أصناف الماشية ليست لها يدين كالانسان تتناول بهما ما تحتاجه من العلف. فخلق فمها للاسفل ليسهل عليها ما تتناوله من المرعى.

واصغ إلى قوله في «حق اليقين»[١] " وانظر إلى قوائم الحيوان كيف جعلت أزواجا ليتهيأ للمشي ولو كانت أفرادًا لم تصلح لذلك، فذو القائمتين ينقل واحدة ويعتمد على الاخرى، وذوي الاربع ينقل ثنتين ويعتمد على ثنتين دون خلاف، بأن ينقل اليمنى من مقاديمه مع اليسرى من مآخيره ويثبت الآخرين ليثبت على الارض. ولونقل القائمتين من أحد جانبيه وأعتمد على الباقيتين من الجانب الآخر لما ثبت ".

وجعل لها الصوف. بعكس الانسان الذي ينسج بيده كما بينه السيد بقوله " ثم هذه الكسوة من شعر و وبر وصوف ليقيها من الحر والبرد ومن الأظلاف والحوافر لتقيها من الحفا. إذا كان لا أيدي لها ولا أكف ولا ملابس مهيأة للغزل والنسج فجعلت كسوتهم في خلقتهم بانية عليهم ما بقوا ".

فهل تعلم الطبيعة ذلك، لتكون هي المهيأة له. وتطلع إلى النبات حيث نلاحظ النخلة الواحدة. تسقى من ماء واحد ، وثمرة واحدة، فيها أنواع مختلفة من التمور.

وهاك نوعا آخر من فصيلة الحمضيات، كالعنب لما نلمس فيه من دقة التوزيع في سيقان هيكله وروعة نظام التغذية فيها. مما يدل على انه خاضع لرقيب عتيد، لا لطبيعة حمقاء عبثية كما يبدو ذلك واضحًا، كاختلاف كيفيات حبات العنقود الواحد.

وكذلك الاختلاف في تعدد الالوان من بيضاء إلى حمراء. ومن حيث الاحجام، فواحدة كبيرة، وأخرى صغيرة. واختلاف المذاق فيها. فمن حامض إلى حلو. وتسقى جميعها من ماء واحد، وأرض واحدة ، وشجرة واحدة..

ولو تأملنا البحر. نجده ينجمد بدرجة حرارة معينة منخفضة يتجمد ظاهر الماء، ويبقى قاعه بالاسفل غير منجمد.

---

[١] ما نُقل من كتاب «حق اليقين» هنا بمجمله منقولٌ عن «توحيد المُفضّل» وهو ما أملاه الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام على المُفضّل بن عمر في التوحيد، وعرف بعد ذلك بتوحيد المُفضّل، فاطلب المزيد فيه. [المُعد]

لكي تبقى حياة الحيوانات والأسماك التي تعيش في قيعانه. فهل علمت الطبيعة بوجود الأسماك تحته؟ فخافت موتها من الإنجماد؟ أم أنّ الله أعطاها بحكمته وقدرته ما تحتاجه، بهذه العظمة، وكمال المعرفة، وقدرته وحكمته. « وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» الرعد/٤.

الله خالقٌ وليس مخلوقًا

س: لقد بينتم نظرية التسلسل، وبطلانها بلسان فلسفي وأمثلة معقدّة. ألا نجد أمثلة بسيطة علمية تدل على بطلانها، ويمكن تيسرها على أذهاننا بشكل يسهل استيعابه؟

ج : بلى، إليك ذلك، ولو اطلعنا على النظريات لوجدناها ترجع بالأصل إلى البديهيات. والبديهيات لا ترجع إلى شئ. لأنها حقيقة واضحة لا تحتاج إلى برهان لاثبات وجودها. أي أنها موجودة لذاتها. كما أن الملوحة من الملح، لكن ملوحة الملح نفسها من ذاته. أي أن الملح لم يكتسب ملوحته من السكر، أو الحامض. فهي موجودة فيه لذاتها[١].

والله سبحانه وتعالى موجود لذاته أي أنه لا يحتاج إلى برهان لاثبات وجوده. فهو قبل كل شئ بلا أوّل، قديم أزلي. فالمخلوقات ترجع إليه. كما أنّ النظريات ترجع إلى البديهيات، أما البديهيات فهي أشياء مُسلّمٌ بصحتها كقولنا الكل أكبر من الجزء. فهذه فرضية منطقية (بديهية) والواحد نصف الاثنين، والكل يساوي مجموع الأجزاء. فهذه الأشياء لا تحتاج إلى برهان لاثبات صحتها، وكذلك الواحد زائد واحد يساوي اثنين. ومن أصعب الأشياء توضيح الواضحات، فالطفل إذا أعطيته جزءًا من الخبز، ومن ثم تعطيه رغيف خبز كامل، يعلم بأن الرغيف (الكل) أكبر من القطعة الصغيرة (الجزء).

وكذا النار حارة والشمس مضيئة والثلج بارد، ندركه بالعلم الضروري لكن مع ذلك قد بيّنا اللسان الفلسفي لمحاورة لأحد العلماء بينا فيها الرد.

---

[١] أي أنها ذاتية ، أي لذاتها ، لذات المصنوع بتأثير من الخالق وهو الله لانه لا ذاتية لشئ سوى الله

وها نحن نفصح لك بصورة نظرية عقلية علمية لاثبات رجوع المخلوقات إلى خالق واحد، وابطال التسلسل. فمن البديهي ان الانسان والمخلوقات ترجع بالأصل إلى خالق، وإذا كان هذا الخالق أوجده إله آخر، وذلك الإله أوجده خالق آخر، وهكذا يحتاج أيضًا إلى من يوجده فيتسلسل الخالق وهذا باطل.

لأنه يؤدي إلى مالا نهاية له. وسبق بيان ذلك، ونستطيع تصوير ذلك بحقيقة الأرض التي نعيش عليها.

فإذا قلنا ان الأرض مسطحة وتمتد إلى مالا نهاية لها فتشتت عقولنا في حركتها الفكرية إلى شئ لا حدود له كما في المخطط الآتي:

لا بداية لها => الأرض تمتد لأنها مسطحة => ما لا نهاية لها مخلوقات

خالق ١ => خالق ٢ => خالق ٣ => خالق ٤=> إلى ما لانهاية له

ولكن لو رجعنا للحقيقة التي لايريد بعضهم الإذعان لها. وهي أنّ المخلوقات ترجع بحقيقتها إلى الإله، فهو الأول، وهو الآخر[1] كما في المخطط التالي:

المخلوقات<===========> الإله

بداية الأول نهاية الآخر

الإله

⇩

الأرض

⇩

المخلوقات

---

[1] الله لا يكون محدودا ولا متناهيا والا فيكون شئ غيره يحده ويحيط به . لان الارض يمكن تحديد وجودها مع مقارنتها بالسماء. والله هو المحيط بكل شئ وغير الله هو المتناه والمحدود . فالتحديد للمخلوقات فقط دون الخالق .لكن من جانب حده بنفسه لا بغيره يصح بكونه هو الحد لا المحدود كما بمثالنا كالارض الكروية التي تستطيع تصور حدودها دون المسطحة .

نستطيع تمثيل ذلك بالأرض التي نعيش عليها أيضًا، إذا قلنا بأنها مدورة، فتمتد من أية نقطة فيها إذا بدأنا منها، وتنتهي إليها، فهي البداية والنهاية.

فلا ندعُ عقولنا تشطح بالأوهام بل نتركها تنطلق إلى الله حيث المبدأ السليم الذي أراده الله سبحانه لها لأنه هو الأول والآخر[١].

فلماذا نترك الإقرار بكروية الأرض، ونجزم بباطل القول بأنها مسطحة، ونذهب للإمتداد، ونترك التحديد؟[٢] فالمخلوقات ترجع إلى الخالق، والخالق لا يرجع إلى شئ، بل يرجع لذاته لأنه هو المرجع. وإذا قلنا بأن الأرض كروية ،فإننا نبدأ من نقطة، وننتهي إلى نفس تلك النقطة. فإذا ما بدأنا بقولنا بأن الله هو الخالق وليس له موجد فإننا ننتهي إليه دون غيره. ولا نقع في تخبطات عشوائية. ولكن إذا قلنا: أنّ الأرض مسطحة لا توجد لها بداية، ولا توجد لها نهاية، ولا حدٌّ محدود. لأننا كلما امتددنا لا نصل إلى خالق أو إلى حدٍّ محدود (مع الفرض) لذلك ننتهي في مطافنا إلى متاهات نحن في غنى عنها.

وهذا أبسط بيان يؤكد بأن الله موجد للكائنات، وليس للتسلسل صحة. كالذي يقر بكروية الارض، وتسطيحها فأيهما تصدقه؟ أ تُسلّم للذي يوصلك للحل أم الذي يوهمك؟ ويرميك في مسالك الشك والحيرة؟!

س: هل من أدلة نقلية على ذلك، أو اسئلة وردت بهذا الخصوص؟

ج: نعم توجد بكثرة ولو اننا لم نذكرها آنفا لعدم تعلق حاجتنا بها. لأن الموضوع يحتاج برهانا عقلي. وانما تستعمل البراهين النقلية للذي يسلم بصحة الايمان بالله، مع أن القرآن قول عقلائي صادر من حكيم ولا شك فيه.

---

[١] وهنا مبحث يختص بالتوحيد، بحثه الحكماء المسلمون يختص بقوسي النزول والصعود في بيان معنى الأول والآخر (فكان قاب قوسين أو أدنى) فاطلبه في محله. [المُعِدّ]

[٢] أردت أن أبين بهذا التشبيه على آخر السلسلة (الخالق) الاخير وأُمثله بالخط المستقيم ، أو الارض المسطحة لكون الارض المسطحة يمكن تحديدها ويمكن امتدادها وكذا الخط المستوي [المستقيم] . أو أُمثلهُ بالخط المنحني أو الارض الكروية المحدودة، وليس لها مجال للامتداد مع ان امتداد الارض أو الخط ليس تسلسلاء،لأنه واحد والتسلسل مجموعة من المعاليل والعلل، قد يرتبط كل معلول بعلته إلى مالا نهاية له فتكون متعددة لكن أقصد ان آخر السلسلة قد مثلته بامكان امتداده إلى مالا نهاية له أو تحديده كالخط أو الارض أي اللا بدّية (لا بدّ) من الانتهاء .

لكن تجنب العلماء في علم الكلام من ايراد النصوص، وإليك بعضٌ منها:

١- في حديثٍ أنّ رجلاً أتى رسول الله صلى الله علية وآله وسلم فقال: يا رسول الله نافقت فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: والله ما نافقت ولو نافقت ما أتيتني تُعلمني، ما الذي رابك؟

أظن أن العدو الحاضر أتاك، فقال من خلقك؟

فقلت: الله تعالى خلقني

فقال لك: من خلق الله؟

فقال: أي والذي بعثك بالحق، لكان كذا.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إن الشيطان أتاكم من قِبل الأعمال، فلم يقو عليكم. فأتاكم من هذا الوجه، لكي يستزلكم. فإذا كان كذلك، فليذكر أحدكم الله وحده.[١]

٢- قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: " الأول الذي لم يكن له قبل فيكون شئ قبله، والآخر الذي ليس له بعد، فيكون شئ بعده "[٢]

وقال أيضا: " إنما يقال متى كان، لمّا لم يكن فأما ما كان فلا يقال متى كان. كان قبل القبل بلا قبل، وبعد البعد بلا بعد .."[٣].

٣- سأل نافع بن الازرق أبا جعفر الباقر عليه السلام فقال: أخبرني عن الله متى كان؟ فقال: متى لم يكن حتى اخبرك متى كان، سبحان من لم يزل ولا يزال فردا صمدا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا.[٤]

---

[١] جامع السعادات للمولى النراقي، ج١ ص ١٥٦ وما بعدها.

[٢] نهج البلاغة، ج١، ص ١٦٠.

[٣] بحار الأنوار، ج٣، ص ٢٨٣.

[٤] الكافي، ج١،ص ٨٨.

الفصل الثاني

أين الله ؟

س: لماذا لا يحل الله سبحانه في مكان؟

ج: لأن الذي يحل بمكان يفتقر ويحتاج إلى ذلك المحل الذي يحل فيه، فيكون محتاجًا. والاحتياج من صفات المخلوقات والله سبحانه غني.

والذي يحل في مكان، يستلزم خلوه من المكان الآخر. فلو وجدنا ماءً حلَّ في قدح، فهو يملؤه دون بقية الأقداح، أو يملأ ما يحيط به فيلزم أن يخلو منه المكان الآخر والله سبحانه موجود في كل مكان، ولا يصح أن يخلو مكان منه قط دون احاطته به.

فهو في كل مكان لا بمداخلة. خارج عنه لا بمزايلة، أو داخل في الآشياء، خارج عنها. وسنوضح ذلك لاحقًا.

والانتقال من حال إلى حال آخر من علامات الزوال. فزواله من ذلك المكان وبقاؤه خاليًا منه يستلزم الحركة أو الافتراق والاجتماع والله تعالى لا يخلو منه شئ. ولمّا كان حلوله بمكان هو اخلاؤه عن مكان آخر، بمعنى ذلك انه يوجب علينا رؤيته غالبا[1]، وكذلك حدّه بالاشارة اليه. كما اننا لو رأينا قدحا فيه ماء. وآخر ليس فيه، أو ما يحيط به من الماء دون ما يخلو عنه، فنشير إلى القدح، ونحده دون ما يحيط به [2] أو ما خلا منه بتعبير آخر. وذلك الافتراض يستلزم الجسمية، والعَرَضية والمكانية وهو منزّه عنها لأنه ليس بجسم كي يقبل الأبعاد الثلاثة. من طول، وعرض، وعمق، وغير مفتقرٍ إليها.

وليس بجسم لكي يحتاج إلى مكان وبُعدٍ ولا عَرَض ليحتاج إلى الجسم ليعرض عليه. كاللون يرتسم على الحائط، أو يعرض عليه، ولا كالماء الذي يحل في القدح. " وكان الله بكل شئ محيطا " ١٢٦/ النساء لأنه ليس كمثله شئ قال تعالى " ألا انه بكل شئ محيط " ٥٤ / السجدة.

---

[1] لانه قد يحل الهواء بمكان ولا يجب علينا رؤيته لكن قد نرى الماء حينما يكون مزاحما له عند ازاحته أياه

[2] كما تقول ان فلانا في الغرفة ، كغرفة الاستقبال دون غيرها من الغرف أو ذلك البيت دون البيت الفلاني . " أينما تولوا وجوهكم فثم وجه الله " ١١٥ البقرة

وهو ليس صفة وموصوف أو متغير أو متصف بالغير، بل هو ذات واحدة غير مركبة.

قال عز وجل: " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " ٧/المجادلة.

وقال: " وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ " ٣/الأنعام

س: أين الله؟

ج: الله في كل مكان ولا يخلو منه شئ.

س: لماذا يتوجه الإنسان بدعائه للأعلى نحو السماء؟

ج: لأن الله سبحانه قال " وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ "٢٢/الذاريات.

(هذه الإجابة عن أحد أئمتنا عليهم السلام).

هذا أولاً وأما ثانيًا فلأنّ الله تعالى شأنه عال والأعلى دائمًا يدل على الرفعة والعلو في الشأن، كما هو غير خاف على أحد.

س: ما المقصود بانه في كل مكان؟

ج: أي أنه داخل في الاشياء، خارج عنها.

قال الله تعالى : " اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لّا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " ٣٥/النور.

وقال النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم: " إن الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار. وإن الملأ الأعلى يطلبونه. كما تطلبونه أنتم "[١] وكما بيّن الامام علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبته: " داخل في الأشياء لا كشئ في شئ داخل. وخارج منها لا كشئ من شئ خارج "[٢]

" هو في الأشياء على غير ممازجة خارج منها على غير مباينة "[٣]

" مع كل شئ لا بمقارنة، وغير كل شئ لا بمزايلة "[٤]

" قريب من الأشياء غير ملامس بعيد عنها غير مباين "[٥]

س: كيف يكون في الاشياء، وخارج عنها. هل هو مبهم أو هو مجرد كلام ينطوي على مغالطات، ووصف لله مباين؟

ج: كلا بل الاجابة واضحة. " داخل في الأشياء، خارج عنها " أي محيط بالأشياء.

فإنك إذا لاحظت البحر، أو حوض الأسماك. فستجد الماء محيطٌ بالحيوانات، والأسماك.

فالماء داخل في هذه الأشياء، ولكنه خارج عنها، هذا بالنسبة للماديات مع الفارق. أي أن الماء خارج عن جوفها، وليس بداخلها وإحاطة الله كلية بكل ذرة منها حتى الجراثيم والمكروبات وأجزاء الذرة والماء محيط بها فقط، ولا يدخل في باطنها. لأنك لو فتحت باطن

---

[١] حق اليقين، السيّد عبد الله شبّر، ص٤٥.

[٢] أورد الكليني (قده) في الأصول من الكافي الحديث هكذا :"سئل أمير المؤمنين (ع) ، بم عرفت ربك ؟ قال : بما عرّفني نفسه . قيل : كيف عرّفك نفسه ؟ قال : لا يشبهه صورة ولا يحسّ بالحواس ولا يقاس بالناس ؛ قريب في بعده بعيد في قربه ، فوق كل شيء ولا يقال شيء فوقه ، أمام كل شيء ولا يقال له أمام ، داخل في الأشياء لا كشيء داخل في شيء ، وخارج من الأشياء لا كشيء خارج ٍ من شيء ، سبحان من هو هكذا ولا هكذا غيره ، ولكلّ شيء مبتدء " (أصول الكافي ج١ ص ٨٥ باب "أنه لا يعرف إلّا به ").

[٣] التوحيد، للشيخ الصدوق قدس سره، ص٣٠٤ وما بعدها.

[٤] ..كائنٌ لَا عَن حَدَثٍ. مَوجُودٌ لَا عَن عَدَمٍ. مَعَ كُلِّ شَيءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ. وَ غَيْرُ كُلِّ شَيءٍ لَا بِمُزَايَلَةٍ :نهج البلاغة، ج١.

[٥] من حديث ذعلب المشهور، التوحيد للشيخ الصدوق: مصدر سابق.

السمكة، لا تراها مملوءة بالماء، فالماء خارج عنها أو محيط بها فقط بل ترى في باطنها الأمعاء، وما إليه من محتويات[١].

أظن أنّ هذا المثال واضح للفكر فتفكر[٢].

وكذلك الآية الكريمة، فترى المصباح داخلاً في الزجاجة إذا ما نظرنا إليه من الخارج لكنه ليس داخلاً فيها، بل هو خارج عنها أيضًا، وفي نفس الوقت فهو في باطنها لكن لا بملامسة، وخارج عنها لا بمزايلة. أي بعدم زواله عنها. كما بيّنا في قول الإمام علي عليه السلام الآنف الذكر. وكذلك قوله عليه السلام:" مع كل شئ لا بمقارنة. وغير كل شئ لا بمزايلة "[٣].

وفي دعاء ليلة القدر " يا موصوفًا لا يبلغ بكينونته موصوف، ولا حدٌّ محدود، يا غائبًا غير مفقود، ويا شاهدًا غير مشهود يُطلب فيصاب، ولم تخل منه السماوات والأرض، وما بينهما طرفة عين لا يُدرك بكيف، ولا يؤيّن بأين، ولا بحيث إنه نور النور "[٤].

قال بعض الزنادقة[٥] للإمام أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام: " لمَ احتجب الله؟ ".

فقال عليه السلام: " إنّ الحجاب عن الخلق لكثرة ذنوبهم، فأمّا هو فلا تخفى عليه خافية. في آناء الليل والنهار[٦].

---

[١] هذا بالنسبة للماديات مثلناه بالسمكة لتقريب الفهم لعدم استحضار شئ بسيط للايضاح الصوري أما الله فإنه محيط احاطة تامة بكل دقائق الوجود واجزائه وجزئياته.

[٢] هذا مثال على المخلوقات لاجل البيان لا للتشبيه بالله جل جلاله لان الله تعالى ليس صفة وموصوف لكي يعرض على شئ أو هو جسم ليحل بمكان يحويه ويستوعبه كالظرف والمظروف لانه ذات (قائم بذاته) ولم يكن قائما بغيره ليحل فيه.

[٣] أي ان علم الله موجود في كل ذرة من المادة وقدرته في الممكنات كلها ، وفيضه عليها بالتساوي لان مرتبة الممكنات بالنسبة له بدرجة واحدة، والا لكان ترجيح بلا مرجح . وكونه كامل وهي ناقصة فتسبح له لتنزهه عن النقص كقوله لا بمقارنة اي لا نقارنه معها بأنه جسم ومادة وممكن . وخارج من الأشياء أي خارج عن ماهية الماديات لانه مجرد عن المادة ، وليس هو مادة لانه موجود والمادة موجودة ، ولا بمزايلة كون هذا التجرد لا يخرجه عن الاحاطة بها

[٤] إقبال الأعمال، السيّد ابن طاووس، ج١ ص ٣٨٢، وقد رواه عن الإمام الحسن بن علي عليهما السلام.

[٥] الزندقة : حركة شعوبية باطنية تفاقمت زمن الهواشم العباسيين . وهم الدهريين الذين يقولون لا رب ولا جنة ولا نار وما يهلكنا الا الدهر .

[٦] أي أنّ الحجاب هو الإحساس المتيقن به وبمراقبته عز وجل هو تراكم على النفس من الكدورات حتى رانت القلوب فلم تعد قابلة له بل حُبست في سجن ما أحاط بها من ماديات بحتة [المُعِد]

قال: فلم لا تدركه حاسة البصر؟

قال: للفرق بينه وبين خلقه، الذين تدركهم حاسة الأبصار.

ثم هو أَجَلّ من ان تدركه الابصار أو يحيط به وهم، أو يضبطه عقل.

قال: فحدّه لي؟ [أي صِف حجمه]

قال: انه لا يُحَدُّ.

قال: لم؟

قال: لأنّ كل محدود متناهٍ [ينتهي] إلى حد، فإذا احتمل التحديد، احتمل الزيادة وإذا احتمل الزيادة احتمل النقصان، فهو غير محدود، ولا متزايد، ولا متجزئ ولا متوهم "[١]

[١] علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ص١١٩ باب ٩٨ علة احتجاب الله عزوجل عن خلقه .

الفصل الثالث

ما هو الله؟

إنّ الله تعالى لا يُرى بحاسة البصر لا في الدنيا ولا في الآخرة. وذلك لأنّ الذي نراه لابد أن يكون جسمًا[١] ويُشار اليه ، وفي جهة مقابلة وله صورة وشكل ومكان. والله سبحانه منزه عن جميع ذلك. ولأن المرئي محاط بالنظر ضرورة، والله محيط، فلا يكون محاطًا، وكل ذلك من لوازم الجسمية والله أظهر الموجودات وأجلاها. فلو تأملت حواس الانسان. تجدها قاصرة[٢].

فحاسة البصر لا ترى النمل على بعد أميال مثلاً، إلا أنها تستطيع الرؤية لغاية منظورها. ولكن نستطيع ذلك باستعمال المنظار، لرؤية الأماكن البعيدة. وكذلك الحيوانات الصغيرة في بِرَك الماء، والجراثيم فإننا لا نستطيع رؤيتها إلا بالمجهر.

وتطّلع إلى السمع تجده قاصرًا، لأنّ الأذن تسمع الهزات من خمس إلى عشرين ألفًا.

فالذي ينقص عن ذلك لا تسمعه، وما زاد يشق طبلة الأذن.

والإنسان لا يشم رائحة السكر، مع أنّ الذباب والنمل يشمه، ويسرع إليه عن بُعد.

وكذلك العقل، لا يستطيع أن يرسم أكثر من صورة واحدة فيه بآن واحد[٣] وحتى الخيال، فلا تستطيع تخيل شئ ليس له وجود في الكون فإننا لا نستطيع تخيل رائحة حمراء بحاسة الشم.

والسمك في البحر لا يستطيع تخيل عالم البَر إلا إذا أُخرج في حوض ماء مثلاً والإنسان لا يستطيع تخيل صورًا ليس لعالمها وجود فالثور المجنح تشكيل في الكون، فالجناح موجود،

---

[١] الجسم يفتقر للمكان ، والعرض يفتقر للجسم كاللون يفتقر للجسم ليعرض عليه لانه ممكن .

[٢] راجع تفصيل ذلك في تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي في تفسير الآية١٤٣ من سورة الأعراف [المُعد]

[٣] لا نستطيع تحريك أصابع الكفين بحركة دائرية باتجاهين متعاكسين إذا ما وضعتمها قبال بعض بآن واحد مما يبطل كون المادة قبل الفكر.

والثور موجود في الكون. ولا شئ جديد قد قام بتوسعه الخيال فالوهم قاصر أيضًا. فكيف تستطيع عقولنا القاصرة أنْ تدرك الله سبحانه؟[١]

إن السبب يعود لشيئين:

١- خفائه في نفسه، أو غموضه. وهذا الإدعاء غير مقنع أنْ يختفي بلا سبب.

٢- ما يتناهى وضوحه بحيث أنّ هذا الوضوح، هو الذي حجبه عنا. والحقيقة تقر بذلك. لأننا إذا تأملنا الخفاش وهو يبصر في الليل، ولا يبصر في النهار، ليس لأن النهار غامض، وغير واضح، أو معدوم، ولكن السبب هو شدة وضوح النهار وجلائه، وحقيقة طبيعة الخفاش هو انسجامه مع الليل وعدم انسجامه في النهار بعكس أحداق العيون البشرية.

فإن بصر الخفاش ضعيف، يُبهره نور الشمس. فإذا ظهر النور قويًا، فمع سبب ضعف بصره جعل من ذلك سبيلاً لامتناع رؤيته لضوء النهار، فلا يرى شيئا. إلا إذا امتزج الظلام بالنور، وضعف ظهور الضوء مع العلم بأنّ الرؤية تتم تحت شروط وهي الضوء. وعدم وجود الحاجب، والشفافية..

فكذلك الحال بالنسبة إلى عقولنا وأبصارنا. وإن جمال الحضرة الالهية كما بيّن بعض العلماء في نهاية الاشراق والاستنارة. وفي غاية الاستغراق والشمول. حتى صار ظهوره ووضوحه سببا لخفائه[٢]

١- قال تعالى : "لَيْسَ كمَثَلِهِ شَئٌ وَهوَ السَّمِيعُ البَصَيرُ" الشورى/١١

أي موجود مجرد عن المادة.

---

[١] هذا بحث [مقتضب ومختصر] عن الوجود الخارجي لله سبحانه في سؤال ما هو الله؟ أما الوجود الطبيعي فهو فطري يحسه الإنسان حين لا منجى له يتعلق به .

نقل المجلسي في بحار الأنوار ج٣: سأل رجلٌ الإمام جعفر الصادق عليه السلام: يابن رسول الله دلني على الله ما هو؟ فقد أكثر عليَّ المجادلون وحيّروني.

فقال له الإمام (عليه السلام): يا رجل هل ركبت سفينة قط؟ قال: نعم. قال: فهل كسر بك [أي كسرت وأوشكت على الغرق] حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك؟ فقال: نعم. قال: فهل تعلق قلبك هنالك أن شيئًا من الأشياء قادر أن يخلصك من ورطتك؟ قال: نعم. قال الإمام الصادق (عليه السلام): فذلك الشيء هو الله القادر على الانجاء حيث لا منجي وعلى الاغاثة حيث لا مغيث.

[٢] اننا لا نرى كثيرا من الأشياء المادية كالكهرباء والمغنطيس لكن نتحسس بآثارها وهذا لا ينافي وجودها

٢- وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: " لا جسم ولا صورة وهو مُجسِّمُ الاجسام ومصور الصور لم يتجزأ، ولم يتناه ، ولم يتزايد، ولم يتناقص "[١]

٣- وعنه أيضًا " انه قال للزنديق حين سأله ماهو؟ قال عليه السلام: " هو شئ بخلاف الاشياء. أرجع بقولي "شئ" إلى اثبات معنى وأنّه شئ بحقيقة الشيئية،غير أنه لا جسم ولا صورة "[٢]

٤- وعنه أيضا " من زعم ان الله على شئ أو في شئ أو من شئ، فقد أشرك.

لو كان الله عز وجل على شئ لكان محمولاً، ولو كان في شئ لكان محصورًا ولو كان من شئ لكان مُحدثًا "[٣]

لماذا لا نرى ذاته الأقدس؟

إنّ الأشياء تَبْيَنُّ بأضدادها. والذي يعم وجوده وليس له ضد، يعسر علينا أن ندركه، ونعرفه، فلو اختلفت الأشياء بعضها دون بعض، ندرك الاختلاف بالفرق بينها[٤].

وإذا اشتركت في دلالتها، وكيفيتها على شكل واحد تعذّر الأمر ومثال ذلك،أنّ نور الشمس عرض يزول عند غروب الشمس فإذا كانت الشمس دائمة الإشراق، لا غروب لها، لأصبحنا نظن أنّ الأجسام ليس لها لونٌ سوى الأبيض. والضوء لا ندركه، ولا نعرف له وجود ولكن لو غابت الشمس واظلّم أفقها الذي كانت فيه مشرقة ندرك ذلك، ونفرّق بين الحالتين. فنعرف أنّ الأجسام اتصفت بلون بواسطة الضوء. وهذا اللون يفارقها عند الغروب. وهو النور والظلام.

ولا نستطيع أنْ نعرف النور، إلا عند زواله والأشياء المختلفة والمتشابهة كلها تشترك بمعنى واحد في أذهاننا لسبب فقدان معرفتنا لها لأنّ ذلك لا يظهر في الظلام أي اختلاف بينها. والظاهر بحد ذاته مظهر لغيره. فالنور الذي يظهر بالظلام يفصح عن حقائق الأشياء

[١] توحيد الصدوق ص٩٨ ، ٧- باب انه ليس جسم ولا صورة .
[٢] توحيد الصدوق ص ١٤٠ ، ٢- باب تبارك وتعالى شئ .
[٣] توحيد الصدوق ص١٧٨ ، ٩- باب نفي الزمان والمكان والحركة عنه تعالى
[٤] راجع حق اليقين: مصدر سابق

الأخرى بظهوره. والله أظهر الأشياء كلها. ولو كانت له غَيبة، أو عدم، أو تغيّر لانهدّت السماوات والأرض " إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا " فاطر/٤١.

ولو غاب، أو انعدم لأدركت الفرق بين الحالتين ولو كانت بعض الأماكن موجود بها، وبعضها موجود بها غيره لأدركت الفرق بين الشيئين. كشريك الباري على فرض وجوده لامتناع العقل من التصور لعدم وجود الله، لكن وجود الله دائم في كل الأحوال. وهذا هو السبب في قصور أفهامنا عن إدراك الله تعالى[١] وإن إدراك الإنسان وهو في صباه، واستغراقه في ملائذ الدنيا ومغرياتها وأُنسه بما يحيط به فسقط تأثيرها على قلبه.

فإذا رأى حيوانًا غريبًا فجأة لم يره من قبل، سرعان ما تحيط به الدهشة والغرابة. وكذا الأعمى إذا امتد بصره للكون دفعة واحدة، فإنه يخاف على عقله، وعظم تعجبه، فالأُنس بالشئ سد عليه سبيل المعرفة.

روي عن أبي حمزة الثمالي بأنه قال: قلت لعلي بن الحسين السجاد (زين العابدين) عليه السلام: لأي علة حجب الله عز وجل الخلق عن نفسه؟

قال: لأنه الله تبارك وتعالى بناهم بنية على الجهل. فلو أنهم كانوا ينظرون الله عز وجل لما كانوا بالذي يهابونه، ولا يعظمونه. نظير ذلك أحدكم إذا نظر إلى بيت الله الحرام أول مرة عظّمه. فإذا أتت عليه أيام وهو يراه، لا يكاد ينظر إليه. إذا مر به. ولا يعظمه ذلك التعظيم"[٢]

قال الشاعر:

---

[١] إن الرؤية عبارة عن انعكاس الضوء من الجسم إلى عدسة العين (البؤبؤ) ثم ارتسام الصورة في الشبكية للعين التي تشابه آلة التصوير، وعدسة العين تشابه عدسة الكاميرا ، والشبكية تشابه الفلم الحساس في الكاميرا. فعند سقوط الاشعة على الشبكية ترتسم الصورة فيها وتنقل الاعصاب المتصلة بها الصورة إلى الدماغ فيترجمها . بهذه الكيفية يرى الانسان وغيره من تشابه عينه عينه . وأما الخفاش فإنه كالرادار . فالموجات تلامسه وتذهب إلى الفضاء الخارجي فإذا اصطدم بها جسم ترجع للخفاش فيراها . فالذبذبات اجسام مادية،والله سبحانه ليس بجسم فلا تعتريه الذبذبات ولا يسقط عليه الضوء فعليه لا يمكن رؤيته لانه ليس بمادة.

[٢] علل الشرائع ١١٩ .٢- باب ٩معرفة الانسان لله كمعرفة كمعرفة النملة بالنسبة إلى الانسان وما يفكر به من صناعات وتدبيرات .

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد   إلا على أكمه ، لا يعرف الـقمرا
لكن بطنت بما أظهرت محتجبا   وكيف يعرف من بالعارف استترا

ويشهد قول سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام في دعاء عرفة: " كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟

أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك، حتى يكون هو المُظهر لك؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟

عميت عين لا تراك، ولا تزال عليها رقيبا، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبا، تعرفت لكل شئ فما جهلك شيئ"[١].

وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه سئل عن الله عز وجل: هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟

قال: نعم وقد رأوه قبل يوم القيامة.

فقيل: متى؟

فقال: حين قال لهم "ألست بربكم؟ قالوا بلى".

ثم سكت ساعة، ثم قال: وإن المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يوم القيامة.

ألست تراه في وقتك هذا؟

قال: أبو بصير: فقلت له: جعلت فداك فأحدث بهذا الحديث عنك.

فقال: لا فإنك إذا حدّثت به فانكر منكر جاهل بمعنى ما تقول، ثم قدّر أن ذلك تشبيه، كفر.

وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين. تعالى الله عما يصفه المشبهون والملحدون[٢].

---

[١] راجع: مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، في أعمال يوم عرفة.

[٢] توحيد الصدوق ص ١١٧ ، باب: ما جاء في الرؤية .

الفصل الرابع

لماذا لا نرى الله؟

تُعرف الأشياء بأضدادها فعند ذهاب النور نرى الظلمة[١] وعند إزالة الله لقدرته نرى عدمه، أي عدم وجوده. فنستطيع أن نميزه، والله لا يُعدم. وعلى سبيل الفرض عندما ينعدم وجود الإله نرى عدم وجوده فندرك كيفيته وماهيته. والله سبحانه وتعالى ليس كمثله شئ فلا يوجد له ضد أو شريك ولو كان له شريك لرأيناه (أي رأينا الله).

أقول: ألا ينطبق كلامنا هذا والله أعلم على مصداق الآية الكريمة التي قال الله تعالى فيها " وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فإن اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ "الأعراف/١٤٣.

إنّ الله سبحانه وتعالى لمّا كان واحدًا وليس له شريك، أو ضد وليس كمثله شئ. فلكي نستطيع أن نراه وأن نميزه عن شريكه لا يوجد سبيل إلى ذلك غير تصورنا لمشاهدة أضداده. وهي العدم. أي أن يخلو منه ذلك المكان فنحس بالفرق، ونميزه. لأننا بواسطة النظر بعيوننا المبصرة نستطيع أن نحُدَّ [ندرك حدوده] الشئ، فنستطيع حَدَّ شئ دون الله. لكي نرى الله، ولكي نحد شيئًا دونه يجب أن يخلو منه أي يخلو من وجود الله.

---

[١] النور والظلمة (تقابل المَلَكة وعدمها) أي وجود وعدم لا يجتمعان ويجوز ارتفاعهما بموضع لا تصح فيه الملكة . لكن (الخير والشر ، السواد والبياض) ضدان فهما وجودان متعاقبان على موضوع واحد لا يجتمعان ولا يتوقف تعلقهما على الآخر . فاللون له وجود خارجي وليس هو عدمٌ للبياض (منير وغير منير ،سواد ولا سواد) نقيضان (وجود وعدم) لا يجتمعان ولا يرتفعان "لا تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير"الأنعام/١٠٣

لقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا "أرنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم "النساء/١٥٣ فالرؤية باطلة "ألا انه بكل شئ محيط "والمرئي محيط بالنظر والله محيط ولا يكون محاطا فلا يكون مرئيا .

فإذا كان الله بمكان دون آخر فإننا سنراه، وإذا تجلّى سبحانه أي ظهر، ولا يوجد شئ يقيم ونراه بدون قدرة الله فيه و وجوده[١].

خذ الدفتر كمثال تقريبي على صحة ما أدّعيناه، إذ أنه يتكون من غلاف لونه أحمر، فإذا طوينا جزءًا من الغلاف نرى لون الورقة أبيض (على قدر ذلك الجزء المطوي) فنميّز الورقة عن الغلاف الأحمر، ولكننا إذا لم نطوِ جزءًا من الغلاف فلا يمكن رؤيتنا لأي جزء من الورقة لأنها محجوبة ومستترة بالغلاف، فلا تتم الرؤية إلا بانتزاع جزء من وجود الغلاف عن الدفتر.

كذلك الله سبحانه أراد انتزاع جزء من وجوده عن الجبل، فقال لموسى عليه السلام: إذا استقر الجبل فسوف تراني. لأنه إذا رأى الجبل وهو مسلوبٌ عنه وجوده، سوف يرى الفرق بين الله، وعدم وجوده بالجبل[٢] فيميزه بالرؤية، لكن الجبل لم يستقر. والسبب لأن كل ما في الكون قائم ومحاط بوجود الله، راجع سورة فاطر/٤١.

فإذا سحب وجوده عنه يصبح عدمًا، فتنتفي الرؤية مطلقًا.

فقال عز وجل لموسى عليه السلام: انظر إلى الجبل فإن رأيته قد استقر مكانه، فسوف تراني. فأراد سحب احاطته ووجوده عن الجبل لكي يخلو منه، ومن احاطته، وبهذه الحالة يرى موسى الجبل خاليا من احاطة الباري به، والكون يحيط الله به فيراه عيانًا.

كالماء محيط بالسمك، والهواء يحيط بنا. وكما أن الإناء المملوء بالماء لا نستطيع رؤية الماء الذي فيه، إلا ان نفرغ جزء من الماء الذي في القدح فنميز بين وجود الماء وعدم وجوده.

أو نأخذ قدحًا نضع في جزء منه ماء ملونًا بحيث يسهل علينا التمييز بين الماء والهواء، أو أي جنس آخر مختلف عنه شكلاً لا ذاتًا.

فلمّا سلب الله تعالى احاطته بالجبل انعدم وجود الجبل. لأن كل شئ قائم به تعالى وليس لشئ وجود وبقاء دونه . لذا لم نستطيع رؤية ربنا[٣].

---

[١] نقصد هنا سحب قدرته عن ذلك المكان وليس جزءًا من ذاته . لأن الله ليس مركبًا [من عدة أجزاء أو أعضاء أو صور وما شابه ذلك] ويستطيع نفي جزء منه ،إنما هو ذات واحدة فإذا انتفى جزء منه انتفى كله والله مستغني عن المَحَل فلا يحل فيه عند سحب قدرته من الجبل، وحلوله يستلزم الحركة والتحرك أي الجهة والاشارة، [وهذا باطل].

[٢] العدم : أي الوجود مقابل اللاوجود (نقيض)، واللاوجود لا يُرى لأنه ليس وجودًا.

[٣] قلنا ان الرؤية تتحقق بالضد أي تُبان الأشياء بأضدادها . والله سبحانه يكون قابلاً للرؤية ، إن وجد له شريك أو بمعنى آخر نرى وجود الله عند رؤية عدمه . فلمّا لا يوجد له شريك ولا يخلو منه شئ انتفت رؤيته. ولما سلب قدرته من الجبل انعدم

←

وهذا هو السبب الحقيقي لعدم استطاعتنا لرؤية الله سبحانه وتعالى .

فلا أجد جوابا مقنعًا، وتفسيرًا أستدل به أوضح من ذلك، فتدّبر.

س: هل توجد أدلة نقلية حول الرؤية؟

ج: نعم، إليك بعضها:

١- قال تعالى " لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ " الأنعام/١٠٣,

٢- قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: "الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد، ولا تحويه المشاهد، ولا تراه النواظر، ولا تحجبه السواتر، الدال على قدمه بحدوث خلقه، وبحدوث خلقه على وجوده وباشتباههم أنّ لا شبه له"[١]

٣- دخل رجل من الزنادقة على الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: فقال: رحمك الله فأوجدني. كيف هو؟ وأين هو؟

قال ويلك. إنّ الذي ذهبت إليه غلط. هو أيّن الأين وكان ولا أين. وهو كيّف الكيف وكان ولا كيف، ولا يعرف بكيفوفية ولا بأينونية ولا يدرك بحاسة، ولا يقاس بشئ.[٢]

قال الرجل: فإذًا، إنه لا شئ. إذ لا يُدرك بحاسة من الحواس.

فقال عليه السلام: ويلك، لما عجزت حواسك عن إدراكه انكرت ربوبيته؟

ونحن إذا عجزت حواسنا عن ادراكه أيقنا أنّه ربنا، خلاف الأشياء"[٣]

٤- سأل ذعلب اليماني أمير المؤمنين علي عليه السلام قائلاً: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟

فقال عليه السلام: "أ فأعبد ما لا أرى".

فقال: وكيف تراه؟

الجبل فلم يشاهد العدم لكي يُرى الوجود (وجود الله) لمقارنته للعدم . أي يرى الله بمشاهدته لخلوه عنه . كالقدح لا نرى فيه ماء إلا ان نسحب وننقص شئ من الماء فنراه.

كالشخص يدخل البيت ويحصر نفسه في غرفة دون أخرى ، فنراه بتلك الغرفة دون سواها. وإن كان يستوعب البيت بأكمله فلا نراه . كالانسان المدّثر بالغطاء لا نراه إلا ان يكشف بشئ عنه بإزالة جزء من الغطاء .والله محيط بالكون . كذلك لا نراه ، فإذا سلب شئ أو أخلى شئ عنه نستطيع رؤيته ولما كان لا يُسلب شئ لأنه لا يخلو منه شئ فوجوده مستمر (فاطر/٤١)

[١] نهج البلاغة، خ١٨٥

[٢] أين إشارة للمكان، وكيف إشارة للهيئة، وكان إشارة للزمان، ولما كان المكان والزمان والهيئة منتزعتان من الوجود، أي أنه لولا وجود المخلوقات واعتبارها للزمان على أنه المقدار بين الحدثين، والمكان على أنه جهة الحدث، والهيئة على أنها شكله لما كان لهم وجود أو ذكر، فدلّ ذلك على كونهما حادثَين، والله سبحانه أزلي جلّ عن الحدوث. [المُعِد]

[٣] توحيد الصدوق ج١ ص٢٥١ ، باب الرد على الوثنية والزنادقة

قال: "لا تدركه العيون بمشاهدة الابصار، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان. قريب من الأشياء غير ملامس، بعيد عنها غير مباين، متكلم لا بروية، مريد لا بهمة، صانع لا بجارحة، لطيفل لا يوصف بالخفاء، كبير لا يوصف بالجفاء، بصير لا يوصف بالحاسة، رحيم لا يوصف بالرقة تعنو [أي تذل] الوجوه لعظمته، وتجب [أي تضطرب] القلوب من مخافته"[١]

س: هل يمكن لنا أن نتصور الكون بأنه محيط بالله وقائم عليه والله محتوى فيه،أم ماذا؟

ج: كلا.

الله محيط بالأشياء، واحاطة الأشياء به لا بملامسة لكي يكون محلاً لها، وهي عارضة [أي صفة مكتسبة] عليه كما تتصورون، لأنها تحيط به وهو يستوعبها، أي ليس مَحَلاً لها لأن الاستيعاب بلا ملامسة بمعنى داخل في الأشياء خارج عنها كما قلنا.

فالمنظور محاط بنظر الناظر والله محيط " أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ " فصّلت/٥٤ والمحيط لا يكون محاطًا فلا يكون مركبًا، ولوجود الفاصلة بين الرائي والمرئي كوجوب المقابلة بينهما وذلك من لوازم الجسمية، والفاصلة هي الحاجب ولمّا كان محيطًا لا فاصلة له عن الكون فلا نراه، والرؤية تتم طبعا بواسطة الضوء واللون[٢]

---

[١] نهج البلاغة، خ١٧٧.

[٢] يجب أن لا نتصور . مطلقاً . أنّ إحاطة الخالق جلّ وعلا بالموجودات والكائنات تشبه إحاطة الهواء الذي يلف الكرة الأرضية ويغلّفها، لأنّ مثل هذه الإحاطة هي دليل المحدودية، بل الإحاطة المعنية هنا تتضمن معنى دقيقاً ولطيفاً يتمثل في ارتباط كلّ الكائنات والموجودات بالذات المقدسة. وبعبارة أُخرى: لا يوجد في عالم الوجود سوى وجود أصيل واحد قائم بذاته، وبقية الموجودات والكائنات تعتمد عليه وترتبط به، بحيث لو زال هذا الإرتباط لحظة واحدة فلا يبقى شيء منها، [يمكن تمثيل ذلك بأن هذه الوجودات كلها إنما تتقوّم وتستمد طاقتها من فيض الله سبحانه وإحاطته بها بحيث لو زال هذا الفيض والعناية لما عادت لها القدرة على الوجود والاستمرار]

إنّ هذه الإحاطة نتلمّس كنهها وحقيقتها في الكلمات الواردة عن أمير المؤمنين(عليه السلام) إذ يقول: «مع كلّ شيء لا بمقارنة، وغير كلّ شيء لا بمزايلة».

وقد نلمح هذا المعنى بعينه فيما ذكره الإمام الحسين(عليه السلام) في دعاء عرفة ذي المحتوى العميق، إذ يقول فيه: «أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك، حتى يكون هو المظهر لك؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟ عميت عين لا تراك عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً» [من تفسير الأمثل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي، بتصرّف. المُعِد]

س: كيف شبّهتم ذات الله كالصفة والموصوف (العارض) وقلتم إذا سحب صفته (كالغلاف الأحمر) عن الدفتر نستطيع رؤية الأوراق. أي رؤيته تعالى ؟ هل يستطيع سحب ضده أو نقيضه فهو إذن مركب؟

وقلتم بأنه إذا أنعدم شئ منه نراه فهل أنه يتألف من أجزاء؟

ج: إن الله تعالى إذا خلا من شئ ينتفي وليس بمعنى أنه ينعدم من ذلك الشئ (أي العدم المقابل للوجود) ما يُعرف بـ تقابل النقيضين. وهذا على سبيل الفرض إن تحقق - أي الإخلاء-وهو الإزاحة التي تتم بواسطة الحركة أو بمعنى أصح ينكمش ولأنه ليس مركب ليعدم جزء منه لأنّ انعدام جزء منه دليل على انعدامه كله.

وليس له شريك ليخلو منه (تقابل الضدين) كالسواد والبياض.

فعندما يذهب السواد يبقى البياض[١].

على فرض تصور إمكان وجوده. وأمّا وجود الله واحاطته بالكون ليس المقصود أنه سبحانه حَالٌ في الكون وعلى أنه بمثابة الصفة العارضة على المَحَل وأن الكون يكون موصوفًا وعندما يُجرّد الله تعالى صفته عن محله (الكون) يوصف (أي نصفه).

أو يسحب شئ من ذاته عن مكانه لأنّه لايحل بمكان لكون ذاته سبحانه كائنة بلا مكان وكما أنّه ليس حَالاً بل هو محيط ولكنه إذا خلا منه شئ ينتفي منه ولا يبقى له أيُّ وجود، فكل شئ قائم بقدرته فلما خلا منه الجبل انتفى وجوده. واحاطته به فاستحالت رؤيته واستحال وجود الجبل.

كحوض الماء عندما تُبعدُ احاطته بالسمكة تسقط وتبقى لوحدها فهي غير محاطة ولا يحيطها[٢] لكن عدم احاطة الله بالشئ بمعنى انتفائه لأنّ الشئ الذي يخلو منه ليس له وجود.

فالله (أصل الوجود) والمقصود من الخلو هو الإبتعاد عن الإحاطة بالشئ ليهلك وينتفي لا ليخلو منه المكان.

---

[١] الشريك: ليس له وجود لأنه عدم وهو من باب الوجود واللاوجود فهو نقيض. فالله والشريك نقيضان [راجع المنطق للمظفر ج١ لتقف على معنى التناقض والتقابل وغيره - المُعِد]

[٢] إن صح التعبير للمثال بالمادة لكونه ممسكًا لها، والحقُّ أنه محيط بكل دقائقها وليس مبتعدًا عنها . فالمحيط بالغرفة ليس محيطًا بمحتوياتها . والله محيط بالكائنات لأنه لا تتقوّم [أي تقوم بذاتها] جرثومة ولا ذرة إلا بوجوده ، وأنن وجوده بسيط مجرد وليس مركبًا ولو كان محيطًا بالشئ دون محتوياته لاقتضى خلوه فيتركب [أي يُصبح متكوّنًا من أجزاء مختلفة مركبة مع بعضها البعض].

س: ألا ترى بهذا المفهوم من قولك أنّ الله وعاء للكون وهو محيط به أو مَحلاً لحلوله أو وعاءٌ له، كالظرف والمظروف، وإن كان يمتزج بالماديات.

أليس ذلك مماسة له واهانة لكرامته تعالى ؟

ج: أولاً إنّ الله ليس محلاً للحوادث، أو هو وعاء لاستيعاب الكون ومحلاً له.

لأنه ليس جسمًا، إنما ذلك الكرسي[١] الذي هو وعاء للكون.

وإن كان كذلك، فلا يستلزم الإهانة كما قلنا لأن الماديات متداخلة، ولا تمس بشئ لأنّه خارجٌ عن المادة، فلا يلزم التَّماس، لأنه حال ظهور المادة لا تحل فيه، لكونه ليس جسمًا. بل هو محيط بها، وخارج عنها، وإن كانت الإحاطة بكونه محلاً، لزم رؤيته.

لأنه بهذه الحالة ما دون الكون فنراه، أي أنّه هو الهواء الذي تحسه، لأنّ الهواء ما دون الماديات المرئية، وهذا غير ممكن، فالهواء يمتزج بالمادة، وينفعل معها، ولا يتغير باللون وغيره. بل الله سبحانه محيط واحاطته للهواء أو المادة لا نفس المادة فهو معها ولا يقترن بها وهو ليس مادة لتكون احاطته ذات الشئ.

س: هل من كلمات ختامية بهذا الشأن تجلو لنا الحقيقة؟

ج: إليك منها:

١- قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: "مع كل شئ لا بمقارنة وغير كل شئ لا بمزايلة".[٢]

وفي خطبة له في مسجد الكوفة قال: "الحمد لله الذي لا من شئ كان ولا من شئ كوّن"[٣]

"لم يخل منه مكان فيدرك بأينية ولا له شبه مثال فيوصف بكيفية ولم يغب عن علمه شئ فيعلم بحيثية"

"لا تحويه الأماكن لعظمته، ولا تذرعه المقادير لجلاله"

---

[١] لتنزّه الله سبحانه عن الجسمية، والمكانية، والزمانية، والكيفية، فالكرسي بحسب الروايات يُستفاد منه معانٍ عدة:
- كني بالكرسي عن الملك فيقال كرسي الملك، و يراد منطقة نفوذه و متسع قدرته (الطباطبائي/تفسير الميزان)
- الكرسي كناية عن السلطة والمُلكية (السيد الشيرازي/ تقريب القرآن)
- عبارة (وسع كرسيّه السماوات والأرض) يمكن أن تشير إلى حكومة الله المطلقة ونفوذ قدرته في السماوات والأرض، كما تشير في الوقت نفسه إلى علمه النافذ، وكذلك إلى عالم أوسع بكثير من عالمنا هذا. وهذه الآية تكمل الآيات السابقة عن سعة علم الله (مكارم الشيرازي/ تفسير الأمثل). [المُعِد]

[٢] نهج البلاغة، مصدر سابق.

[٣] توحيد الصدوق ص ٦٩ باب التوحيد ونفي التشبيه .

"ممتنع عن الأوهام أن تكتنهه، وعن الأفهام أن تستغرقه وعن الأذهان أن تمثله.

قد يئست من استنباط الإحاطة به طوامح العقول ونضبت عن الإشارة إليه بالاكتناه بحار العلوم".

في الحثِّ بعدم التفكر بذات الله[1]

في التوحيد، للشيخ الصدوق رحمه الله:

عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: "تكلموا في خلق الله ولا تكلموا في الله فإن الكلام في الله لا يزيد إلا تحيّرًا"

عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: "إن الله يقول " وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى"النجم/٤٢ قال: إذا انتهى الكلام إلى الله عزوجل فامسكوا".

عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: "إياكم والتفكر في الله ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمة الله فانظروا إلى عظم خلقه".

عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: "من نظر في الله كيف هو هلك".

مالك مهدي خلصان

تَمَّ الكتاب والحمد لله في:

يوم الأحد

١١-٩-١٩٨٨ م

٢٩ محرم ١٤٠٩ هـ

---

[1] **أ**- لابد ان نعرف أن قولنا : «التفكر في الذات والاسماء والصفات» قد يحمل الجاهل على الظن بأن التفكر في ذات الله ممنوع بحسب الروايات دون ان يعلم ان التفكر الممنوع هو التفكر في اكتناه الذات وكيفيتها ، حسب ما يستفاد من الاحاديث الشريفة. وقد يُمنع غير المؤهل ، من النظر في بعض المعارف ذات المقدمات الدقيقة [الأربعون حديثًا، السيد الخميني ص١٨٧]

ب- هناك فرق بين التفكّر في الذات الإلهية وبين التفكّر بالأمور المستحيلة.

فالتفكّر في ذات الله تبارك وتعالى هو من التفكر المنهي في الموروث القرآني والروائي؛ لأن الدائرة مغلقة تماماً، فإنّ كلّ ما يمكن أن نتوسّل به للوصول إلى معرفة الذات، فهو مخلوق لنا بعيد عن الذات، وكلّ ما يمكن أن نتصوّره عن نفس الذات فهو مجرّد تصوّر تُفرزه القدرة العقلية القاصرة عن الإلمام بظاهر عالم الإمكان، فضلاً عن بواطنه، فلا تصل النوبة إلى ربّ عالم الإمكان.

وهذا ما حذر القرآن الكريم منه، حيث قال: (ويحذركم الله نفسه) فلا يمكن الخوض فيه، والتشوق في طلبه؛ لأنه طلب ما لا يمكن تحصيله. ومن هنا فقد تثار إشكالية في البين مفادها: إذا لم تكن هناك إمكانية في التفكر في ذات الله، فكيف يمكن لنا معرفته تعالى؟

وللإجابة على هذا التساؤل نذكّر بما ورد عن النبي والأئمة الأطهار في تعليل ذلك، حيث عزو الأمر إلى الرأفة والرحمة الإلهية بالعباد؛ لأنه طلب ما لا يحصل. نعم، هناك معرفة إجمالية فقط.

وأما غير ذلك من الأمور المستحيلة فهي غير مشمولة بالنهي. [السيد كمال الحيدري –أجوبة الأسئلة العقائدية].